الباب الرابع

obeikandl.com

القطب الجنوبي

obeikandl.com

الكبتن سكوت ورفاقه

كان لما اصاب الكبتن سكوت ورفاقهُ الذين رافقوه الى القطب الجنوبي وقع شديد في كل انحاء العالم . وصل هذا المكتشف الشهير الى القطب، وقد ثبت ذلك مما ذكره عن العلامات والآثار التي تركها امندسن هناك ، ثم لقي حتفهُ هو ورفاقهُ في رجوعهم . ولم يكن بينهم و بين المركز العمومي الذي كانوا قد اعدوه للالتجاء اليهِ الا ١٥٥ ميلاً حين فاجأتهم العواصف واقامت في وجههم ما لا يذلل من العقبات

انقطعت اخبار سكوت ورفاقهِ من اوائل سنة ١٩١٢ ولم يعرف عنهم شيء بعد ذلك حتى وصلت باخرتهم تِرّا نوفا الى جزيرة زيلاندا الجديدة وكانت قد اقلعت من لندن في اول يونيو سنة ١٩١٠ وذلك اول عهدها بخوض البحار الشاسعة وفيها بعثة سكوت وهي تامة العدة مجهزة بكل ما يلزم لها ومما زاد في اتقان معداتها وابلاغ ترتيبها حد الكمال خبرة سكوت السابقة في مغالبة المصاعب ومعاونة غيره ممن سافروا الى الاصقاع الجنوبية وعرفوا بالاختبار ما يحتاج اليهِ المكتشف فيها . واجتمع حوله من الاعوان والعلماء ما لم يجتمع حول غيره من جميع الذين اقتحموا بلاد الجليد

وصلت بهم الباخرة الى خليج مكمردو بعد ان قاسوا اهوال البحر في شدة هيجانهِ واضطراب امواجهِ فانقسموا هناك الى ثلاث فرق نزلت الفرقة الاولى الى البر لاقامة مركز عمومي على رأس ايڤنس وكان سكوت فيها ونزلت الثانية في غرب الخليج وحاولت الثالثة النزول الى الارض المسماة ببلاد الملك ادورد السابع فلم تتمكن من ذلك لكثرة الجليد فنزلت في رأس اداري

وكابد رجال الفرقة الثالثة شدائد كثيرة فان العواصف دهمتهم من أول الامر فقضوا فصل الشتاء في كوخ من الثلج يقتاتون بلحم الفقم وقليل من الزاد الذي بقي معهم فدب فيهم المرض ولم يصلوا الى المركز العمومي الا في اوائل شهر نوفمبر الماضي

ولما عادت الباخرة باخبارهم وما جرى لهم حتى شهر يناير من سنة ١٩١٢ علم الناس ان العلماء بينهم يبذلون اقصى جهدهم ليقوموا حق القيام بما انتدبوا لهُ حتى ان الدكتور ولسن اقتحم مخاطر جمة فقضى اشهر يونيو ويوليو واغسطس (وهي اشهر الشتاء هناك) في رأس كروزير يدرس اطوار الطائر المعروف ببطريق الامبراطور

وطبائعهُ في افراخهِ وتربيتهِ لصغاره في فصل الشتاء . وكان الموكلون برصد المظاهر الجوية وحركات الرياح وضغط الهواء واختلاف درجة الحرارة وامواج المد والجزر وجاذبية الارض ومغنطيسيتها ، مواظبين على اعمالهم يرقبون التغيرات ويضبطونها بدقة وعناية . ومثل ذلك يقال في الموكلين بالابحاث الجيولوجية والبيولوجية وغيرها من اغراض الرحلة

وكان آخرون يهيئون معدات التقدم نحو القطب ويقيمون المستودعات في الطريق واخذ سكوت في التقدم الى القطب في الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩١١ ولكنهُ عاد فتأخر شهراً بسبب موت نصف الدواب التي كانت معهم . وأتى الكوماندر ايڤنس بآخر اخبارهم في السنة الماضية بعد ان تركهم وهم على ١٥٠ ميلاً من القطب وكانت امورهم حسنة في ذلك الوقت

ولم يعرف عنهم شيء بعد ذلك الا ما وجد في اوراق سكوت الذي اعتنى بتدوين كل الحوادث بالضبط والتدقيق رغما عما كان يحيق بهِ من المخاطر . ومما يدل على ثباتهِ وبعد نظره انهُ لما رأى ان لامناص من الهلاك جلس يكتب تفاصيل النوازل التي حلت بهم كما سيجيء

وقد وصل الى القطب في الثامن عشر من يناير سنة ١٩١٢ وكان معهُ الدكتور ولسن والكبتن اوتس والملازم بورز والضابط ادغر ايڤنس . وقاسوا كثيراً من الشدائد في عبور نهر الجليد المسمى بيردمور فاصيب ايڤنس بارتجاج الدماغ وقضى نحبهُ هناك. ثم اشتد الصقيع والريح فرض الكبتن اوتس واعوزهم الوقود .وفي السادس عشر من شهر مارس رأى اوتس ان الموت مدركهُ لامحالة وانهُ اصبح عبئاً على رفاقهِ فتخلف عنهم ليلقى حتفهُ . وواصل سكوت وولسن وبورز السير لكن الزمهرير اشتد عليهم وهم على احد عشر ميلاً من احد المستودعات فتعذر عليهم التقدم ولم يكن لديهم من الزاد الا ما يقوتهم يومين . وكتب سكوت رسالتهُ الاخيرة هناك وكان قد انقضى عليهم اربعة ايام وهم في ذلك المكان . وقد خرج البعض في ذلك الوقت نفسهِ من المركز العمومي للقائهم واعانتهم ويظهر انهم اقتربوا منهم كثيراً الا انهم لم يعثروا عليهم . ولم يُهتدَ الى جثث سكوت ورفيقهِ الا في شهر نوفمبر الماضي بعد ان انقضى فصل الشتاء

هذه نهاية رجل من اكبر المكتشفين وقد كان كبير النفس يثير في رفاقهِ روح النخوة والثبات في قضاء الواجبات ويعلمهم بمثاله قدر اتعاب الرجال قدرها ويكتسب

محبتهم له وتعلقهم بهِ حتى ان الذين رافقوه في رحلتهِ الاولى الى القطب سنة ١٩٠١ كالدكتور ولسن لم يحجموا عن اقتحام المخاطر معهُ مرة ثانية . وقد قال فيهِ الدكتور شاركو « انهُ فاتح الطريق الى القطب » . وحرص سكوت على التدقيق في التقارير وما اظهرتهُ رحلتهُ الاولى وبقايا رحلتهِ الثانية من الحقائق والفوائد العلمية كافٍ لان ينفي عنهُ كل تهمة توجه اليهِ من انهُ كان يقصد باعمالهِ اكتساب الشهرة والصيت

كانت ولادتهُ في مدينة ديفونبورت ببلاد الانكليز سنة ١٨٦٨ ودخل مدرسة عسكرية سنة ١٨٨١ ثم دخل في سلك البحارة في الاسطول الانكليزي وتقلب في المناصب حتى رقي الى رتبة كوماندر سنة ١٩٠٠ . ولما رجع من رحلتهِ الاولى سنة ١٩٠٤ رقي الى رتبة كبتن ومنح لقب كوماندر من رتبة فكتوريا الملكية ونال بضعة نياشين منها النيشان الملكي ونيشان خاص من الجمعية الجغرافية الملكية

والدكتور ولسن من متخرجي جامعة كمبردج وكان في الرحلة الاولى مصوراً وموكلاً بالبحث في الحيوانات الفقارية وفي الرحلة الثانية رئيس القسم العلمي

اما الرسالة المشار اليها آنفاً فقد وجدت في خيمة سكوت الى جانب جثتهِ وهذا تعريبها

ان فشلنا لم يكن لاننا اخطأنا في تدبير امورنا بل لانهُ نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة

فاولاً — اننا فقدنا دواب النقل في مارس سنة ١٩١١ فاضطررت ان اؤخر سفرنا وان اقلل المؤونة التي اخذناها معنا

وثانياً — اشتد البرد وثارت العواصف كل مدة السفر ولاسيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣

وثالثاً — وجدنا الثلج رخفاً ليناً فابطأ سيرنا عليهِ

وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها قللت مؤونتنا ولولا مصيبة اخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منهُ ومعنا زاد كاف لاننا كنا قد استعددنا لهذه الطوارىء . اما المصيبة فهي مرض الرجل الذي كنا نحسبهُ اقوى منا كلنا واصبرنا على المشاق وهو ادغر ايفنس . وكان امامنا نهر الجليد المسمى بيردمور وعبوره قليل الصعوبة في الصحو ولكنها لم تصح يوماً واحداً في رجوعنا ومعنا رجل مريض نضطر الى حمله فانهُ وقع واصيب بارتجاج الدماغ ثم مات بعد ان هد حيلنا

وتركنا وفصل الزوابع قد ادركنا . ولكن ذلك كلهُ لم يكن شيئاً مذكوراً في جنب ما وجدناه مخبوءاً لنا . فما من مخلوق كان يظن اننا نصادف البرد الذي صادفناه في هذا الفصل من السنة ، فقد كانت درجتهُ ٢٠ الى ٣٠ تحت الصفر بين عرض ٨٥ و٨٦ ولكننا لما رجعنا الى العرض ٨٢ وفي مكان اوطأ من الاول ١٠٠٠٠ قدم رأيناه ٣٠ تحت الصفر نهاراً و٤٧ تحت الصفر ليلاً والريح تعصف في وجوهنا صرصراً مستمراً

وبين من ذلك ان ما اصابنا انما سببهُ هذا البرد الشديد الذي جاءنا بغتة على غير انتظار وفي غير ميعاده وغير مكانهِ فلم يكن في الحسبان . ولا اظن ان احداً من بني الانسان اصابهُ ما اصابنا في مثل هذا الشهر . وكان في الامكان ان ننجو لو لم يمرض رجل آخر منا وهو الكبتن اوتس وينفد الوقود من مستودعنا وتعترض الزوابع بيننا وبين المستودع التالي وهو منا على احد عشر ميلاً فقط حيث كنا نرجو ان نجد كل ما نحتاج اليهِ

حقًّا لقد جازت ملمات الزمان حدودها واستنزفت آفاتهُ مجهودها

صرنا على احد عشر ميلاً من المستودع الذي ودعنا فيهِ طعامنا ووقودنا وليس معنا سوى طعام يومين ووقود لتسخين طعام يوم واحد فاقمنا في هذه الخيمة اربعة ايام لا نستطيع الخروج من شدة العاصفة ونحن على غاية الضعف وانا لا اكاد استطيع الكتابة . واذا قصرتُ نظري على نفسي فانا لست نادماً لان هذه الرحلة برهنت على ان الانكليز لا يزالون يستسهلون تجشم المشاق والتعاون في الضراء ومقابلة الموت الزؤام بالصبر الجميل كما كانوا في سالف عهدهم

لقد ركبنا الاخطار عن طيب نفس فجاءت التقادير على غير ما انتظرنا فلا نشكو من احد ولا نلوم احداً بل نسلم انفسنا للاقدار عازمين ان نبذل جهدنا الى النهاية

ولكن ان كنا قد خاطرنا بانفسنا لاجل شرف وطننا فاننا نتوقع من ابناء الوطن ان يعتنوا بالذين تركناهم وراءنا وليس لهم ملجأٌ سوانا

واذا فسّح لنا في الاجل فعندي كلام كثير في وصف شجاعة رفاقي وصبرهم وتحمّلهم المشاق — كلام يثير النخوة في صدر كل ابناء وطني . ولكن هذه السطور وجثثنا الهامدة ستخبر خبرنا ويقيني تام ان بلاداً عظيمةً غنية مثل بلادنا تعني بالذين تركناهم في بيوتنا .

ر . سكوت (مقتطف مارس سنة ١٩١٣)

امندسن

لقد كان من نصيب اهل نروج الساكنين في اقصى الشمال ان يكون مكتشف القطب الجنوبي منهم فقد ثبت الآن ان الرحالة امندسن النروجي الذي سار بسفينته الفرام قاصداً الوصول الى القطب الجنوبي وصل اليه في ١٤ دسمبر سنة ١٩١١ وقد بعث الى جريدة الديلي كرونكل الانكليزية بوصف اكتشافه للقطب الجنوبي فنشرته في ٨ مارس وخلاصته انه شرع في سفره نحو القطب في ١٠ فبراير سنة ١٩١١ فوصل الى حيث قضى فصل الشتاء القطبي وكان متوسط درجة الحرارة ٢٦ تحت الصفر بميزان سنتغراد واوطأ ما بلغته ٥٩ درجة تحت الصفر . وابتدأ فصل الربيع في اواسط اكتوبر فعاد الى السير جنوباً فوصل الى الدرجة ٨٣ في ٩ نوفمبر والى الدرجة ٨٥ في ١٤ نوفمبر . وفي ١٧ نوفمبر وصل الى ارض مرتفعة فجعل يصعد فيها هو ورجاله حتى بلغوا ما ارتفاعه ١٠٧٥٠ قدماً في ٦ دسمبر وكان ذلك حيث العرض ٨٧ درجة و١٤ دقيقة وفي ٩ دسمبر بلغوا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٣٩ من العرض الجنوبي اي بقي بينهم وبين القطب درجة و٢١ دقيقة . وفي ١٢ دسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٣٠ وفي ١٣ دسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٤٥ وفي ١٤ دسمبر بلغوا القطب نفسه وكانت درجة الحرارة حينئذ ٢٣ تحت الصفر . والقطب في سهل مرتفع فسيح جداً. وفي اليوم التالي كانت السماء صافية فرصدوا ارصاداً فلكية كثيرة من الساعة ٦ قبل الظهر الى الساعة ٧ بعده فوجدوا انهم كانوا حيث العرض ٨٩ درجة و٥٥ دقيقة فساروا جنوباً مسافة ٩ كيلومترات حتى يكونوا قد مشوا على القطب حتماً

وقد كانت المسافة من آخر مكان شتوا فيه الى القطب ١٤٠٠ كيلومتر وعليه فقد كان متوسط ما قطعوه في اليوم ٢٥ كيلومتراً

***

فصّل الكبتن امندسن نتائج رحلته الى القطب الجنوبي في اجتماع الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز في ١٥ نوفمبر فقال ان رجاله اتموا وضع المؤونة في طريقهم في ١١ ابريل سنة ١٩١١ فاحسنوا في اختيار الاماكن التي وضعوها فيها لانه لم يجد اقل

مشقة في سفره من حيث الطعام والشراب لا في ذهابهِ ولا في ايابهِ. ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا اشارات على جانبي الطريق حتى اذا انحرف امندسن ورجاله عن موضع الطعام ترشدهم تلك العلامات اليهِ . واتفق ان الهواء كان موافقاً لهم لم تصبهم الانواء الا مرتين وكانت درجة الحرارة ٥٦ تحت الصفر بميزان فارنهيت مدة خمسة اشهر وبلغت في ١٣ اغسطس ٧٤ تحت الصفر ولم يعتدل الهواء الا بعد العشرين من اكتوبر. ورأوا عند الدرجة ٨٣ من العرض الجنوبي جبالاً عالية ارتفاعها من ١٠٠٠٠ قدم الى ١٥٠٠٠ قدم الى الجنوب الغربي منهم . وبلغوا الحد بين الارض والجليد الدائم في ١٧ نوفمبر حيث العرض ٨٥ درجة جنوباً والطول ١٦٥ غرباً ولم يجدوا كبير مشقة في الصعود الى سهل الجليد الذي حول القطب . وارفع مكان بلغوه كان ارتفاعهُ عن سطح البحر ١٠٧٥٠ قدماً ومن ثم بقي الجليد منبسطاً على ارتفاع واحد تقريباً الى الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٥ ثم انخفض رويداً رويداً وكان المسير سهلاً والهواء معتدلاً .

وظهر بالرصد في ١٤ و١٥ دسمبر انهم بلغوا عرض ٨٩ درجة و٥٥ دقيقة وفي ١٦ دسمبر نقلوا مخيمهم الى موقع القطب تماماً اي الى الدرجة ٩٠ واقام اربعة رجال حينئذ يرصدون مدة اربع وعشرين ساعة وسموا تلك البقعة باسم الملك هاكون السابع ملك نروج

واهم اكتشاف جغرافي في هذه الرحلة اكتشاف سلسلة الجبال العالية المشار اليها آنفاً فسميت جبال الملكة مود باسم ملكة نروج .

(مقتطف ابريل ودسمبر سنة ١٩١٢)

السر ارنست شكلتن

لبعض الناس غرام شديد باقتحام المخاطر واكتشاف المجاهل مدفوعين بحب الاكتشاف او بحب الشهرة او بحب الكسب او بذلك كلهِ ومما رغبوا في الوصول اليهِ مهما تجشموا في سبيله من المشاق القطب الشمالي والقطب الجنوبي اي طرفي محور الكرة الارضية . اما القطب الشمالي فاول من قصدهُ وحفظت اخبارهُ السر جون فرنكلين الذي سار نحوهُ سنة ١٨٤٥ قاصداً ان يكتشف طريقاً بحرياً الى اسيا من الشمال الغربي وقضي عليهِ وعلى رجاله بعد سنتين او ثلاث ووجدت آثارهم واخبارهم في رجمة هناك وظهر منها انهم وصلوا في سيرهم الى مكان يبعد ١٣٢٢ ميلاً عن القطب الشمالي

وتوالت البعوث بعد فرنكلين وكل بعثة تحاول ان تبعد اكثر مما ابعدت سابقتها كما ترى في هذا الجدول

السر جون فرنكلين	سنة	١٨٤٧	وصل الى	١٣٢٢	ميلاً	عن القطب
مستر لاي سمث	«	١٨٧٣	« «	٥٩٢	« « «	«
الكبتن نيرس	«	١٨٧٦	« «	٤٥٨	« « «	«
اللفتنت لكوود من بعثة غريلي	«	١٨٨٤	« «	٤٥٥	« « «	«
الدكتور ننسن	«	١٨٩٥	« «	٢٦٠	« « «	«
الكبتن كاني من بعثة ابروزي	«	١٩٠٠	« «	٢٣٩	« « «	«
الكومندور بيري	«	١٩٠٦	« «	٢٠٣	اميال « «	«

اما القطب الجنوبي فاهم البعثات التي قصدتهُ ست وهي

بعثة القبطان كوك قصدتهُ سنة ١٧٧٤ ووصلت الى ١٢٠٠ ميل عنهُ

« ودل	«	١٨٢٣	« «	١٠٥٠	ميلاً	«
« روص	«	١٨٥١	« «	٠٨٥٠	« «	«
« سكوت	«	١٩٠٢	« «	٠٤٥٠	« «	«
« شكلتن	«	١٩٠٩	« «	٠١١١	« «	«

فبعثت شكلتن وصلت الى ابعد ما وصلت اليهِ البعثات القطبية شمالاً وجنوباً . ويفتخر الانكليز بانهم سبقوا الاميركيين في هذا المضمار لان بيري الذي وصل الى ٢٠٣

اميال من القطب الشمالي اميركي. وقد ذكرنا رحلة سكوت وما لقيهُ في الاصقاع الجنوبية في المجلد التاسع والعشرين من المقتطف. وها نحن واصفون الآن رحلة شكلتن وما لقيهُ فيها مأخوذاً من الانباء التلغرافية التي بعث بها الى انكلترا من جزيرة زيلندا الجديدة

والملازم شكلتن من اعوان الكبتن سكوت الذي قصد القطب الجنوبي بسفينة الدسكفري وابعد معهُ اكثر مما ابعد احد قبله حتى صاروا على ٤٥٠ ميلا من القطب وذلك في آخر سنة ١٩٠٢ فقد قال انهُ احد الثلاثة الذين نصبوا العلم الانكليزي في ٣٠ دسمبر سنة ١٩٠٢ حيث العرض ٨٢ درجة و ١٦½ دقيقة . وبدت منهُ حينئذ دلائل الهمة والنشاط والصبر على المشاق والمقدرة على ادارة الناس بجأش رابط . وقد حدثتهُ نفسهُ بالذهاب مرة ثانية لاكتشاف القطب الجنوبي ومعرفة احوال البلاد التي تحيط بهِ فاقلع من بلاد الانكليز في ٣٠ يوليوسنة ١٩٠٧ على سفينة بخارية من سفن الصيد اسمها النمرود بعد ان اعدت لهذه الغاية وجهزت بكل ما يلزم لهذا السفر الشاق

والنمرود من اصغر السفن التي تشق الاوقيانوس عمرها ٤١ سنة وقد ظهر بالاختبار انها من اقدر السفن على احتمال ضغط الجليد اذا احاط بها وضغط عليها . محمولها ٢٢٧ طناً وطولها ١٣٦ قدماً وعرضها ٢٧ قدماً وكثيراً ما كانت تحمل ١٦٠ نفساً من البحارة والركاب . اما الآن فلم يذهب فيها سوى ٣٢ نفساً ولذلك وضعت فيها كل لوازم الراحة لهم ولسفرهم على الجليد بالمزالق والاوتوموبيلات واخذوا معهم خيولا صغيرة من خيول منشوريا المعتادة زمهرير البرد وكلاباً من نسل الكلاب التي تبعت البعثات السابقة لاكتشاف القطب . وقبل ان اقلعت نزل اليها ملك الانكليز وتفحص ما فيها من امتعة البعثة ومؤونتها ولما رأى انها كلها على ما يرام قال للملازم شكلتن لم يبق لي الا ان ارجو لك سفراً سعيداً وعوداً حميداً في مهمتك العسيرة . لما سافر الكبتن سكوت في سفينة الدسكفري اهديت اليهِ نيشان فكتوريا واني اهدي اليك الآن نيشاناً مثله تفاؤلاً بفوزك في البحث العلمي الذي شرعت فيهِ . ثم سلمتهُ الملكة علماً لينصبهُ في ابعد مكان يصل اليهِ فنصبهُ على نحو مئة ميل من القطب كما تقدم . وما كاد يصل الى زيلندا الجديدة في عودتهِ من السفر حتى بعث الى جريدة الديلي ميل تلغرافاً مسهباً نقتطف منهُ الفقرات التالية

قام النمرود بنا من رأس رويد في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٠٨ وابعد ما بلغناه الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي . وكان السفر

شاقاً جداً فقطعنا في اول الامر جبالاً كثيرة ثم وصلنا الى سهل عال يبلغ ارتفاعهُ عن سطح البحر عشرة آلاف قدم واكتشفنا سلاسل كثيرة من الجبال وقطعنا ١٧٠٨ اميال في ١٢٠ يوماً واكتشفنا اكثر من ١٠٠ قمّة جديدة من قمم الجبال وكانت المؤونة كافية والحيول المنشورية على ما يرام وقد اكتشفنا اكتشافات مهمة في علم الحيوان واكتشفنا ايضاً القطب المغنطيسي الجنوبي عند الدرجة ٧٢ والدقيقة ٢٥ من العرض والدرجة ١٤٥ من الطول وكان الشتاء معتدل البرد وبلغت اوطأ درجات الحرارة ٤٠ بميزان فارنهيت تحت الصفر . والاكتشافات الجيولوجية التي اكتشفناها مهمة كالاكتشافات في علم الحيوان وقد اشتدّ ضغط الجليد على النمرود لكنهُ احتمله . وصعدنا على قمة بركان اربيوس وهو ابعد البراكين جنوباً وارتفاعهُ ١٣٠٠٠ قدم وهذه اول مرة صعد انسان الى قمتهِ .قصده الملازم ادمس الجيولوجي ورفاقهُ في ٥ مارس سنة ١٩٠٨ فصعدوا بالمزالق الى ما ارتفاعهُ ٥٠٠ قدم عن سطح البحر ثم حملوا زادهم وامتعتهم وتركوا مزالقهم وصعدوا حتى بلغوا ما ارتفاعهُ ٩٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وكانت الحرارة هناك على ٥٠ تحت درجة الجليد . وحينئذ عصفت عاصفة ثلج منعهم عن السير ثلاثين ساعة متوالية ولما سكنت عاودوا التصعيد فبلغوا فوهة البركان القديمة وارتفاعها ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر فتفحصوها جيداً ورأوا منافس الدخان القديمة والفوهة مملوءة الآن بالحجارة المتبلورة وحجارة الخفان والكبريت وهرأ البرد قدميّ السر فيليب بروكهرست فاضطرّ ان يقطع ابهامهُ . وبلغوا فوهة البركان العامل في ١٠ مارس ومحيطها نصف ميل وعمقها ٨٠٠ قدم وكانت تنفث البخار والغازات الكبريتية فتعلو فوقها الفي قدم

وشرع الدكتور مرتش في رصد الحوادث الجوية من اوائل السنة . والاستاذ داڤد في رصد مجاري الهواء العليا من عبثها بغيوم البخار الصاعدة من البركان وواصلا الرصد الى آخرها

ووجد الدكتور مري كثيراً من الاحياء الميكروسكوبية في بحيرات عذبة قرب رأس رويد ويجلد الماء حولها سنة بعد سنة فتعيش فيهِ من غير ان يؤذيها وظهر بالامتحان انها تتحمل البرد الشديد والحر الشديد وتعيش في الماء العذب وفي الماء الاجاج.ورأينا طائر البنغوين المطوّق اما النباتات التي وجدناها فاكثرها من انواع الفطر والاشنان والطحالب والاعشاب البحرية. وكان الشفق القطبي كثير الظهور ساطع النور كل مدة

الشتاء واكثر ظهوره في الافق الشرقي وغالبهُ من السجني ويكون احياناً من النوع الثابت واحياناً من النوع المتحرك وكثيراً ماكانت مجاري النور تسير في عرض السماء بسرعة فائقة . واشتد ثوران بركان اريبوس في شهر يونيو

ومضيت انا وارميتاج ودافد بالمزالق في ١٢ اغسطس لفحص حاجز الجليد فوجدنا درجة الحرارة ٨٩ تحت درجة الجليد فوضعنا المؤونة في طريقنا على ١٢٤ ميلاً من مشتى الدسكفري ثم عدنا الى اقتحام الحاجز وسرنا بالاوتوموبيل على بحر من الجليد في ٢٩ اكتوبر وكنا اربعة ،ادمس ومرشل وولد وانا وتبعنا خمسة لمساعدتنا بحمل الزاد وغادرنا نقطة هت في ٣ نوفمبر ومعنا زاد يكفينا ثلاثة اشهر فعاقنا عاصف الثلج ٥ ايام وعاد الذين تبعونا في ٧ نوفمبر . وكاد المستر ادمس يقتل لانهُ سقط في شق كبير في الجليد هو وفرس من الافراس لـكننا تمكنا من انقاذه . وفي ١٣ نوفمبر بلغنا مكان المؤونة التي وضعناها في سبتمبر الماضي حيث العرض ٧٩ درجة و٣٦ دقيقة فاخذنا منها زاداً لنا وعلفاً لخيلنا وجعلنا نقتصد في طعامنا وسرنا جنوباً على حروف واكام من الجليد الصلب يتخللها اماكن مغطاة بالثلج فكانت الخيل تغرق فيهِ الى بطونها . ولما وصلنا الى الدرجة ٨١ والدقيقة ٤ قتلنا فرساً من الافراس وابقينا هناك وديعة من لحمهِ ومن البسكوت والزيت اللذين كانا معنا واخذنا بقية اللحم اداماً

وفي ٢٦ نوفمبر وصلنا الى ابعد ما وصلت اليهِ بعثة الدسكفري فرأينا سطح الجليد ليناً جداً يعسر السير عليهِ واصيبت الخيل بالبهر من بريق الجليد فقتلنا فرساً منها وابقينا جانباً من زادنا ومن لحمهِ حيث العرض ٨٢ درجة و٤٥ دقيقة ثم قتلنا فرساً ثالثاً في ٣٠ نوفمبر واستمر بنا السير جنوباً وجنوباً بشرق فدنونا من سلسلة عالية من الجبال متجهة الى الجنوب الشرقي . وفي الثاني من دسمبر اكتشفنا نهراً من الجليد (اي جليداً جارياً جرياً بطيئاً) طوله ١٢٠ ميلاً وعرضهُ نحو ٤٠ ميلاً فحاولنا الصعود عليهِ في ٥ دسمبر وكانت فيهِ شقوق كبيرة حتى لم نستطع مرة ان نقطع اكثر من ٦٠٠ يرد في اليوم وفي ٧ دسمبر سقط فرس من خيلنا في شق من هذه الشقوق واختفى لكننا انقذنا المستر ولد الذي كان معهُ

وتقشعت الغيوم في ٨ دسمبر فاكتشفنا سلاسل جديدة من الجبال متجهة الى الجنوب والجنوب الغربي وكنا مرتبطين بعضنا ببعض بسيور وحبال متينة حتى اذا وقع واحد منا في شق ينقذه الباقون لانهُ يكون معلقاً بهم فوقفنا مراراً ونجونا . واستمرت

الحال كذلك من ٦ دسمبر الى ١٨ منهُ حتى بلغنا ما ارتفاعهُ ٦٨٠٠ قدم عن سطح البحر . وابقينا كل ما معنا حيث العرض ٨٥ درجة و١٠ دقائق ولم نأخذ غير الزاد والآلات العلمية وخيمتين وقللنا طعامنا

وفي ٢٦ دسمبر بلغنا سهلاً علوه ٩٠٠٠ قدم ثم ارتفع رويداً رويداً حتى صار علوه ١٠٥٠٠ قدم وتوالت علينا زوابع الثلج هناك وكانت الحرارة بين ٣٧ و٧٠ تحت درجة الجليد

ولما رأيت ان قوى رفاقي قد خارت من قلة الطعام وخفة الهواء وشدة البرد عزمت على ان نضع جانباً من زادنا هناك ونتقدم الى حد ما يصل اليهِ جهدنا فاخذنا خيمة واحدة وغرسنا اعمدة الخيمة الثانية في طريقنا لترشدنا في رجوعنا وسرنا في ٤ يناير واشتد عصف الثلج في وجوهنا واستمر ستين ساعة من غير انقطاع وكانت درجة الحرارة على ٧٢ تحت درجة الجليد وسرعة الريح سبعين ميلاً في الساعة حتى كان من المستحيل علينا ان نتقدم خطوة واحدة . وكاد البرد يهرأنا ونحن نيام في اكياسنا. وفي التاسع من يناير استأنفنا السير فبلغنا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي وهي ابعد نقطة وصل اليها انسان حتى الآن فنصبنا هناك العلم الانكليزي الذي سلمتنا اياه الملكة ولم نر على مدى بصرنا جبلاً ولا اكمة بل رأينا سهلاً منبسطاً الى القطب. ثم عدنا ادراجنا ولم نجد الاعمدة التي نصبناها لان العاصفة اقتلعتها . ولكننا رأينا آثار اقدامنا فارتشدنا بها وكانت العاصفة تهب من ورائنا فساعدتنا على السير وكنا نقطع ٢٠ الى ٢٩ ميلاً كل يوم ورأينا العاصفة قد ازالت الثلج عن نهر الجليد فصار شديد الزلق وفرغ زادنا في ٢٦ يناير ولم نستطع ان نقطع سوى ١٦ ميلاً في ٢٢ ساعة وبلغنا مكاناً من امكنة الزاد الذى وضعناه في طريقنا عصر السابع والعشرين من يناير

واصيب ولد بالدوسنطاريا من اكل لحم الخيل ولم يجيء ٤ فبراير حتى أصبنا كلنا بالدوسنطاريا ودامت معنا ثمانية ايام ولكن ريح الجنوب كانت تساعدنا على الرجوع وكنا كلما وصلنا الى مكان من الاماكن التي ودعنا فيها الزاد يكون الزاد الذي معنا قد نفد كلهُ . وانتكس مرشل وعاودتهُ الدوسنطاريا فتركتهُ في الطريق وتركت معهُ ادمس واسرعت انا وولد الى السفينة ثم عدت اليهما في اول مارس ومعي رجال لانقاذهما

وبلغت المسافة التي قطعناها ذهاباً وايابا ١٧٠٨ اميال والمدة في السير والانتظار ١٢٦ يوماً . وقد جمعنا مجموعاً جيولوجياً كبيراً . ووجدنا طبقات الفحم الحجري في الصخور الكلسية ورصدنا الاحداث الجوية رصداً كاملاً واكتشفنا ثمانياً من سلاسل الجبال واكثر من مئة جبل وصورنا كثيراً من انهر الجليد

والقطب الجنوبي واقع في سهل يعلو عن سطح البحر عشرة آلاف قدم أو احد عشر الفاً . وعلو سلاسل الجبال التي اكتشفناها يختلف بين ٣٠٠٠ قدم و ١٢٠٠٠ قدم. والعاصفة التي لقيناها عند الدرجة ٨٨ تدل انهُ ان كان حول القطب سكون فهو في فسحة ضيقة او هو ليس عند القطب الجغرافي . انتهى

ونحن ننشر هنا الخلاصة التالية ملخصة من مجلة ناتشر

امتازت بعثة شكلتن على كل البعثات التي تقدمتها في انها ركبت المزالق فبلغت بها الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي فلم يبق بينها وبين القطب سوى ١١١ ميلاً فعرفت حالة تلك الاصقاع تماماً حتى القطب الجنوبي . واكتشفت فرقة منها القطب المغنطيسى الجنوبي واثبتت ان تلك الاصقاع بر متصل ولو علاه الجليد

وقد وصلت البعثة على السفينة نمرود الى مضيق مكمردو قرب جبل اريبوس في اوائل سنة ١٩٠٨ وصعدت على ذلك الجبل وهو بركان عامل يقذف الدخان والغازات من جوفهِ ارتفاعهُ عن سطح البحر ١٣١٢٠ قدماً ووجدت انه كان له فوهة قديمة تعلو ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وشتت هناك في كنف الجبل وانتظرت فصل الصيف حتى تتقدم في سيرها جنوباً نحو القطب ووجدت ان الاوتوموبيل خير وسائل النقل والانتقال على بحار الجليد . وافترقت هناك الى ثلاث فرق ، فرقة سارت على المزالق تجرها الخيول الصغيرة القد بقيادة شكلتن نفسهِ قاصدة القطب الجنوبي وفرقة بقيت فى تلك الجهات تبحث فى طبائع البلاد واحوالها الجوية وفرقة ضربت شمالاً وغرباً تفتش عن القطب المغنطيسي الجنوبي

اما الفرقة الاولى فشرعت في سيرها في ٣ نوفمبر الماضي فلم تسر طويلاً حتى اعترضتها عاصفة شديدة من الثلج اوقفتها اربعة ايام . ثم استأنفت السير الى ان وصلت الى بلاد مرتفعة يغطيها الجليد ويعسر التصعيد فيها لشدة شخوصها فلم تستطع أن تتقدم فيها اكثر من ستين متراً في اليوم . وصفا الجو في الثامن من دسمبر فشاهدت الجبال تمتد جنوباً وشرقاً واستمرت في سيرها فصعدت ٦٨٠٠ قدم في اثني عشر يوماً اي قطعت ارضاً جبلية

بلغ ارتفاعها ٦٨٠٠ قدم فكأنها كانت تقطع في اليوم ما ارتفاعهُ ٥٦٦ قدماً وتركت اثقالها هناك حيث العرض ٨٥ درجة و١٠ دقائق واخذت معها ما يقوتها بالتقتير وجعلت تمشي جنوباً وعواصف الثلج تعصف في وجهها والارض تزيد ارتفاعاً فبلغت ما ارتفاعهُ ١٠٥٠٠ قدم في ثمانية ايام واشتدّ عاصف الثلج حينئذ فمنعها عن السير ثلاثة ايام وكانت درجة البرد على ٤٠ تحت الصفر ، وفي التاسع من يناير صفا الجو نوعاً فتقدمت في سيرها حتى بلغت الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي و١٦٢ درجة من الطول الشرقي وهو ابعد ما وصلت اليهِ فلم يبقَ بينها وبين القطب سوى درجة و٣٧ دقيقة او نحو ١١١ ميلاً والارض من هناك ، الى ابعد ما تراهُ العين في جهة القطب نجد مرتفع ولكن لا جبل فيهِ .ثم عادت ادراجها لانهُ لم يبق معها طعام يقوتها ان تقدمت اكثر من ذلك ولان المرض والتعب انهك قوى رجالها وقد لقيت من المشاق في ايابها اشد مما لقيت في ذهابها لان قلة الطعام اضعفت رجالها ولكن الرياح الجنوبية ساعدتها على الاسراع في السير فقطعت ١٧٠٨ اميال في ١٢٦ يوماً ووصلت الى رأس هت في ٤ مارس

والفرقة الثالثة التي ذهبت تفتش عن القطب المغنطيسي سارت على المزالق شمالاً وغرباً وكانت الرياح الجنوبية الشديدة تساعدها تارةً وتعاكسها اخرى وكانت درجة البرد على ١٨ تحت الصفر فاهتدت الى القطب الجنوبي في السادس عشر من شهر يناير وهو حيث العرض ٧٢ درجة و٢٥ دقيقة والطول ١٥٤ درجة وقطعت في هذا السفر ٢٦٠ ميلاً ولما ارادت الرجوع رأت ان الجليد الذي سارت عليهِ في ذهابها قد تمزق وتفرق الا ان السفينة نمرود فتشت عنها فوجدتها في ٤ فبراير وانقذتها من الهلكة

والامور التي علمتها هذه البعثة وارسلتها بالتلغراف هي هذه

اولاً — ان القطب الجنوبي واقع في ارض عالية يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم او احد عشر الف قدم عن سطح البحر وحول تلك الارض سلاسل من الجبال يبلغ ارتفاعها من ثلاثة آلاف قدم الى اثنتي عشر الف قدم

ثانياً — ان الرياح الجنوبية تعصف هناك دواماً حتى قرب القطب في الاماكن التي سارت فيها تلك البعثة فان كان هناك رياح مضادة لها تهب نحو القطب فهي على الجهة المقابلة من القطب فى الاوقيانوس الاتلنتيكي ولذلك فالارض العالية المغطاة بالجليد تمتد حول القطب الجنوبي الى بعد شاسع

رحلته الاخيرة ووفاته

رجل مقدام من اشهر روّاد القطب الجنوبي . توفي ذاهباً اليهِ في جيورجيا الجنوبية وهي جزيرة قفراء حيث العرض نحو ٥٥ درجة جنوباً والطول نحو ٣٧ درجة غرباً . ولقد لقي في رحلاتهِ السابقة مخاطر كثيرة فنجا منها ولكن لما حمّ القضاء تغلب عليهِ اصغر الاحياء

ولد في ارلندا سنة ١٨٧٤ وكان ابوه طبيباً فانتقل بهِ الى مدينة لندن وهو فتى واراده ان يتخذ الطب حرفةً له لكنهُ ابى لميل شديد فيهِ الى ركوب البحار واقتحام الاخطار . فسافر الى اميركا الجنوبية وغيرها من البلاد وانتظم في سلك البحارة الملكية . وبلغهُ أن الحكومة عازمة على ارسال بعثة لارتياد القطب الجنوبي فطلب ان ينضم الى رجالها فرفض طلبهُ فلج في الطلب حتى قبل واقلعت السفينة في اغسطس سنة ١٩٠١ فجعل يتطوع للاشتراك في كل الاعمال ولو لم تكن مما يطلب منهُ . فاشترك في الابحاث الكيماوية والجغرافية وطالع ما كتبهُ روّاد الاصقاع القطبية

ثم لما عزم سكوت على الذهاب الى القطب الجنوبي ذهب معهُ ووصلت هذه البعثة الى الدرجة ٨٢ والدقيقة ١٧ جنوباً وعادت ادراجها

وتولى بعد رجوعهِ اعمالاً مختلفة ولكن ميله الى السفر واقتحام المخاطر تغلب عليهِ فاستدان من اصدقائهِ مالاً ابتاع بهِ سفينة وجهزها بكل ما دله اختباره انهُ لازم لها ثم اقلع قاصداً القطب ، ولكن حالت الحوائل بينهُ وبين الغرض الذي قصد اليهِ واضطر ان يرتد عنهُ وهو على نحو درجة ونصف منهُ ، لكنهُ جمع هو ورجاله من الفوائد ما يعد في الدرجة الاولى بين الحقائق العلمية وانهالت عليهِ الاوسمة من الجمعيات الجغرافية فجعل يخطب في الاندية عما شاهده في رحلتهِ الى ان جمع مبلغاً من المال اوفى بهِ الدين الذي استدانهُ

ومضى بعده امندسن وسكوت فبلغا القطب الجنوبي كما يعلم قراء المقتطف فعزم شكلتون ان يقصده من الجهة المقابلة للجهة التي سارا فيها واستدان ما يكفي من المال وسار بسفينتين لكنهُ لم يوفق . وقد شرحنا سفرتهُ هذه في المجلد التاسع والاربعين من المقتطف صفحة ١٠١ حيث قلنا ما خلاصتهُ : —

الرحالة السر ارنست شكلتون

انظر الروّاد صفحة ١٩٦

برد ولكنز امندصن

الروّاد صفحة ٢٥٢

« في خريف سنة ١٩١٤ شخص السر ارنست شكلتون الرحالة الانكليزي المعروف في جماعة من رجاله لاجتياز البلاد المسماة قارة القطب الجنوبي من طرف الى طرف . وكان يرجو عند سفره ان يكمل رحلتهُ في بضعة اشهر ولكن الطبيعة عاندتهُ فاخطأ حسابهُ فيما قدر لرحلتهِ من المدة . فانهُ خرج في ٦ دسمبر سنة ١٩١٤ في سفينة اسمها « انديورنس » من جزيرة جيورجيا الجنوبية وسار جنوباً بشرق ثم بغرب حتى اكتشف مكاناً على ساحل القارة المذكورة سماه ساحل كايرد طوله مئتا ميل ثم انقلب شمالاً لما لم يعد يستطيع السفر جنوباً. وكانت نقطة انقلابهِ تبعد ٦٥٠ ميلاً عن القطب الجنوبي . وانكسرت السفينة في اثناء الطريق فنزل هو ورجاله في جزيرة الفيل في منتصف ابريل وهناك ترك ٢٢ رجلاً من رجاله وترك لهم زاداً يكفيهم الى آخر مايو وركب هو واربعة آخرون قارباً من قوارب السفينة عائداً الى جزيرة جيورجيا التي سافروا منها فبلغوها سالمين في ١٠ مايو ثم قصدوا بونس ايرس في اميركا الجنوبية فبلغوها في ٣١ مايو . ولما بلغ الجزيرة المذكورة ارسل قسماً من الزاد الى رجاله الذين تركهم في جزيرة الفيل

وكان اول ما فعل بعد وصوله الى بونس ايرس انه سعى في تخليص رفاقه من جزيرة الفيل وساعدته الحكومة الانكليزية على ذلك فقصد هذه الجزيرة بنفسهِ ولكنه لم يستطع بلوغها لتكاثف الجمد فاشتد القلق في انكلترا على رجاله الذين تركهم فيها ولكنه لم ييأس بل ما زال يحاول الوصول الى الجزيرة المرة اثر المرة حتى فاز بأربهِ في المرة الرابعة فبلغها في ٣ سبتمبر فاستعلم عن رفاقهِ فعلم انهم سالمون فارسل تلغرافاً مقتضباً الى جريدة الدايلي كرونكل يقول فيهِ ما ترجمته « الجميع سالمون . الجميع بعافية » . ثم عاد برجاله الى انكلترا . وقد ارسل تلغرافاً الى الملك يخبره بنجاتهم فاجابه الملك بتلغراف قال فيهِ : « يسرني من صميم الفؤاد انك انجيت رفاقك الاثنين والعشرين فاهنئك . بنتيجة مساعيك الحسان في انقاذهم وبان النجاح كلل سعيك وآمل ان تعود بهم سالمين الى منازلهم عن قريب »

وقد رأينا مناظر رحلتهِ هذه معروضة باسمها في باريس وكنا قد رأينا قبلها مناظر رحلة سكوت وهذه وتلك من ابدع ما رأتهُ عين انسان . اما سفرته الاخيرة التي قضى فيها فلم يكن يقصد منها البلوغ الى القطب بل مجرّد الابحاث والمكتشفات العلمية فوافاه القدر المحتوم على غير انتظار .

مقتطف مارس سنة ١٩٢٢

الاصقاع المتجمدة الجنوبية

ذكرنا غير مرة ان السفينة الانكليزية المسماة دسكفري اي الاكتشاف قصدت القطب الجنوبي لاكتشاف ما حوله فجمد البحر حولها ومنعها عن السير ولقي من فيها اشد المشاق قبل ان بلغتهم سفينة الصباح وانقذتهم . وقد كتب احد ضباطها وهو العالم شكلتون مقالة في مجلة بيرصن وصف فيها تلك الاصقاع وما لقوه فيها فاقتطفنا منها ما يلي لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قال :

ان الاصقاع الجنوبية ابرد من الشمالية لان المياه الحارة تجري من خليج المكسيك شمالاً وتلطف بردها فلا يبلغ الحد الذي يبلغهُ في الجنوبية . ولكن في الاصقاع الجنوبية من الغرائب ما تتعلق بهِ النفوس فترى الذين ذهبوا اليها مرة يودون الذهاب مرة اخرى رغماً عما يقاسونهُ من شدة البرد وقلة الطعام والبعد عن الاصدقاء والخلان

وقد بنيت سفينتنا لكي تحتمل ضغط الجليد على جانبيها ولا تنكسر ولكي لا يتطرق البرد الشديد الى من فيها ولذلك لم نخش الوصول الى البحر المتجمد بل فرضنا جائزة لمن يشاهد الجمد اولاً ولما قال واحد انهُ شاهده في ظهر البحر هرعنا كلنا الى ظهر السفينة لنشاهد ما شاهده ولم يكن سوى كسر صغيرة طافية على وجه الماء ولكن لم يمض ذلك النهار حتى مخرت السفينة في الجليد ولم نعد نرى حولنا الا بساطاً ابيض يرصعهُ حيوان الفقمة وطائر البنغوين . اما الحيوان فلم يعبأ بنا واما الطائر فكان يمشي الينا الخيزلى وهو يصرخ مستغرباً اعتداءنا على حماه كانهُ شيوخ لبسوا رداء اسود تحتهُ صدار ابيض

وكان الجليد رخفاً غير متماسك الاجزاء فمخرت سفينتنا فيهِ خمسة ايام متوالية وحينئذ وصلنا الى بر القطب الجنوبي وهو جبال شاهقة يغطيها الثلج تعلو عن البحر عشرة آلاف الى خمسة عشر الف قدم . تناطح السحاب وتعلو فوقهُ وتصب في البحر انهاراً من الجليد تتكسر وتجري فيهِ كقطع الغمام . وكنا نتشوّف الى النزول على هذا البر لمشاهدة ما فيهِ من انواع النبات والحيوان فلم نجد فيهِ سوى قليل من الطحالب والاشنان وانواعاً قليلة من الطيور وحيوان الفقمة المشار اليهِ آنفاً . واما البلاد القطبية الشمالية التي من هذا العرض فانهُ يوجد فيها ثمانية عشرة نوعاً من النباتات المزهرة

وكثير من انواع الحيوان كالفقمة والدب والارنب والثعلب والسنجاب والقطا القطبي

وتكبر الفقمة هنا حتى يبلغ وزنها الف رطل ومنها كان اكثر طعامنا وهي كثيرة الدهن ودهنها زنخ تعافهُ النفس ولكن الجوع كافر فكنا اذا فرغ طعامنا ونحن في المزالق نرحب بكل قطعة من هذا الدهن وننسى خبث طعمهِ

وتزحف الفقمة على الجليد زحفاً بطيئاً ولا تخشى من الانسان لانها لم ترهُ قبلاً ولا عرفت انهُ افتك انواع الحيوان . اما طائرُ البنغوين فكان يثور في وجه من يدنو منهُ لاننا شاهدناه في زمن التفريخ وتدعوهُ سليقتهُ حينئذ الى الدفاع عن فراخهِ وهو يبني ادحيهُ من حجارة صغيرة يلتقطها من الشاطىء وقد لا يبني ادحياً بل يضع بيضهُ على الصخر ويحضنهُ كذلك ويزقُّ فراخه هكذا : ينزل الى البحر ويصطاد منه بعض السراطين ونحوها ويبتلعها ثم يفتح فاهُ والفراخ تدخل رءوسها في حلقهِ وتأكل ما تجدهُ فيهِ . ويسطو عليهِ الطائرُ البحري المعروف بالزعّاق ويختلس فراخهُ ولذلك يعيش بعضه مع بعض اسراباً لكي يتعاون ويدافع عنها

هذا ما كنا نراهُ في فصل الصيف حين وصلنا الى هناك والصيف ستة اسابيع لا غير من منتصف دسمبر الى آخر يناير فقضيناهُ في التجوال حول البر. ولما وصلنا الى جبل اربوس الذي اكتشفهُ السر جمس روس منذ ستين سنة وجدنا الدخان فوق قنتهِ لانه بركان مشتعل تعلو قنتهُ عن البحر ١٢٥٠٠ قدم ولكننا لم نر النار تخرج منهُ الا مرةً واحدة وكنا نرقبهُ كل يوم لنعلم جهة الريح من اتجاه دخانهِ . وعزمنا ان نشتي في سفحهِ ولو كنا نعلم ان ناره لا تخفف صبارة البرد

وكنا في الصيف لابسين ثيابنا العادية ثم اشتد البرد رويداً رويداً وبلغ درجة الصفر بميزان فارنهيت وانحط الى ما تحته فلبسنا احذية من الفرو وجعل الجليد يزداد سمكاً في اوائل فبراير ولم تعد سفينتنا تستطيع السير فيهِ لانه متماسك صلب لا كجليد الصيف المتخلخل فالقينا مرساتها ونحن نعلم اننا قادمون على ليل طويل يدوم مئة واثنين وعشرين يوماً فاعددنا كل ما يمكننا اعداده ليسهل علينا احتمال ذلك الليل الطويل

ولما تراكم الجليد حول السفينة ومنعها من الحركة ربطنا حبالاً بها ومددناها في كل جهة حتى نهتدي بها اليها لانه اذا عصفت العواصف في ذلك الليل البهيم لا يعود الانسان يرى شيئاً فيضل السبيل

اتفق ان اثنين من رجالنا اضاعا الحبل مرة ولم يكونا قد ابعدا عنه الا قليلا فبقيا ساعتين يفتشان عنه قبل ان اهتديا اليهِ ووصلا الينا وقد هرأ البرد وجهيهما اعني بذلك ان البرد يقاص الاوعية الشعرية ويطرد الدم منها فيبيض اللحم ويموت مالم يبادر المرء الى فركه لارجاع الدم اليهِ

والليل القطبي منقطع النظير لا يعلمهُ الا من مرّ عليهِ . افرض انك في قفر قاحل لا نبات فيهِ ولا حيوان ولا علامة من علامات الحياة وذلك القفر جليد بحت وانت مقيم فيهِ مع رفاقك منقطعين عن الناس تمام الانقطاع لا يصل اليكم منهم شيء ولا يصل شيء اليهم منكم وقضي عليك ان تقيم هناك شهراً بعد شهر بعد آخر اربعة اشهر متوالية في ظلام دامس والريح تهب باردة حتى اذا كشفت وجهك او يدك هرأهما البرد ولا شيء يسليك الا حديث اصحابك . اذا تصورت ذلك امكنك ان تتصوّر حال من يشتي في الاصقاع القطبية ويمر عليهِ ليلها البهيم . اما نحن فلم نضجر لاننا كنا على تمام الصفاء وكنا قد اعددنا اشياء كثيرة لتسليتنا وحالما ابتدأ فصل الشتاء لبسنا ثياب الفرو وثوباً صفيقاً فوقها مما يمنع دخول الهواء فصار يسهل علينا الخروج ولو في اشد العواصف

وهبطت درجة الحرارة رويداً رويداً حتى صارت ٤٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت ولكن شعور الانسان واحد سواء كان البرد على ٣٠ تحت الصفر او على ستين تحت الصفر لا يرى الفرق بين الدرجتين الا اذا نظر الى ميزان الحرارة . وكنت اشعر احياناً بلسع في وجهي كلسع الزنابير فاعلم ان البرد هرأه فاجعل أفركه بيدي الى ان اعيد الحرارة والدورة الدموية اليهِ ولم نكن نستطيع ان نكشف ايدينا اكثر من دقيقتين او ثلاث. اما وجوهنا فكنا نلتزم ان نبقيها مكشوفة حول افواهنا والا اجتمع البخار منها على اجفاننا وجلد هناك . وقد تهب الريح في وجه المرء فيجلد نفسهُ على وجههِ ولا بد لهُ حينئذ من ان يدور من وجه الريح وينزع كفهُ من يده ويفرك وجههُ شديداً والا هرأه البرد والا الصق اجفانهُ واعماه . واضطررنا ان نحلق لحانا وشواربنا لان بخار النفس كان يجتمع عليها ويجلد ولم نكن نستطيع ان نلمس شيئاً معدنياً لان بردها كان يهرأ اليد . واتفق ان كلباً رأى اناء من الصفيح مما يوضع فيهِ الطعام فمد لسانهُ ولحسهُ فلصق لسانهُ بهِ

ولما ابتدأ فصل الشتاء خرج البعض منا في المزالق فلقوا عاصفة شديدة كانت تعصف

الثلج في وجوههم وحاولوا الوصول الى اكمة يستذرون بها فلم يستطيعوا وشعروا ان البرد اخذ يهرأ وجوههم وكان معهم خيمتان فنصبوهما حالا ولجأوا اليهما ولو تأخروا خمس دقائق لقضي عليهم لانه لا يبقى فيهم قوة لنصب الخيمة

وكانت هذه العواصف من اشد البلايا علينا لاسيما وانها كانت تثور من غير انذار حتى لا نكاد نجد الوقت الكافي لنصب الخيام والالتجاء اليها وكان العاصف يدوم احياناً يومين او ثلاثة فلا نتجاسر على الخروج الا لاخذ الارصاد الجوية

وكان لا بدّ لنا من الخروج في المزالق لمعرفة تلك الاصقاع وما فيها وهو الغرض الذي ذهبنا لاجله فكنا نخرج بها والكلاب والخيام وهذه الخيام صغيرة تسع الخيمة منها ثلاثة رجال وكانوناً يشعلونهُ و يسخنون عليهِ طعامهم وقد يضطرون ان يقيموا فيها يومين او ثلاثة او اكثر لا يستطيعون الخروج منها ثم اذا ارادوا الخروج وجدوا الثلج قد طمرها

والكلاب التي كانت معنا من كلاب سيبيريا المعتادة البرد وكانت ثلاثة وعشرين فقط لاننا لم نحسب اننا ننزل على البر وحبذا لو اخذنا معنا ستين او سبعين كلباً فكنا اذاً وصلنا الى القطب الجنوبي على ما اظن . وولد عندنا تسعة اجراء في فصل الشتاء ولكنها لم تقو مثل امهاتها

واصطدنا كثيراً من طائر البنغوين الملكي وهو نادر ووجدنا بيضة من بيضهِ وهي الوحيدة وهذا الطائر لا يبني عشاً ولكن للانثى شيء ككيس من الريش حول رجليها فتضع بيضها فيهِ وتربي هناك فراخها فلا يهرأها البرد واذا سقط فرخ من امهِ اسرعت الطيور كلها اليهِ لتنتشله فتمزقهُ ارباً في الغالب من حنانها عليهِ

ولما القى الشتاء عصاه لم نعد نجد ان نبعد عن السفينة لكننا كنا نخرج منها احياناً الى اكمة قريبة منها ونصعد عليها وننزل ترويضاً لاجسامنا او نقطع الثلج ونأتي بهِ الى السفينة لتذوبهُ ماء ونفطر الساعة الثامنة صباحاً ثم نتعاطى اعمالنا المختلفة بعضنا يجرف الثلج عن السفينة وبعضنا يرفأ الغطاء الذي يغطيها او يصبر جلود الطيور والفقاقم او يسبر غور البحر او يصطاد الحيوانات البحرية . وقد اصطاد العالم البيولوجي الذي كان معنا خمس مئة صنف من الحيوانات البحرية الجديدة من انواع السراطين وعناكب البحر والمحار مما يعيش في البحر او يسبح فيهِ وكان اذا اراد ان ينظف عظام فقمة

من لحمها يضعها في شبكة حيث يصل اليها ماء البحر تحت الجليد فتأتي السراطين ونحوها من الحشرات البحرية وتأكل اللحم عن العظم وتنظفهُ في يومين

وكان معنا اجزاء كوخ كبير اقمناه على الشاطىء حتى نقيم فيهِ اذا انكسرت السفينة فجعلناه ملعباً كنا نمثل فيهِ بعض الالعاب الهزلية وانشأنا جريدة شهرية سميناها تيمس القطب الجنوبي كنا نشترك في كتابتها وزرعنا قليلا من الرشاد والجرجير في غرفة المرضى فنبتا واطعمناهما لفريق منا كان قد ذهب على المزالق وعاد الينا . وكان في هذه الغرفة موقدان لتدفئتها وكنا نقيم فيها غالباً لان حرارتها كانت دائماً على الدرجة ٥٥ بميزان فارنهيت ولم ننقطع عن رصد الحوادث الجوية كل ساعتين لا نهاراً ولا ليلا

***

كانت سفينتنا على ما نبتغي راحة ودفئاً ونوراً وبهجة وسكوناً ولكن اذا فتحنا بابها وصعدنا الى ظهرها فهناك ليل بهيم وعصف الرياح يصم الاذان والزمهرير يجلد بهِ الدم في العروق والجمد في الهواء يدخل العيون فيعميها ويسد الافواه فيقطع الانفاس

غير ان هذه الاحوال لم تدم فان العواصف كانت تهجع احياناً ويشرق البدر ويفيض نوره على ما حولنا من السهول والهضاب فيكسوها حلة من البهاء ويظهر في طرف الافق ضوء مستطير يدل على ان الشمس لم تزل في الوجود ولو كانت محجوبة عن الابصار . وجبل النار العظيم قائم في ذلك السهل الفسيح يشمخ بانفهِ الى السماء والدخان مسردق فوق هامتهِ كغمامة قوراء — وقد كنا ثمانية واربعين رجلا ولم يكن غيرنا في تلك البلاد . وها فقرة مما كنت اكتبهُ في يوميتي

« الثلاثاء في ١٩ يونيو سنة ١٩٠٢ صعدت الى قنة الكاسن انا وولسن وكان الثلج يسقط والريح تعصف والظلمة دامسة والثرمومتر على ٤٦ تحت الصفر . جلد البرد انف ولسن ثم اصطدنا فقمتين وخروج الفقاقم الى البر نادر في هذا الوقت وذهب هدصن الى غرفة المائدة ومعهُ العناكب والسراطين التي اصطادها لكي يشرح طبائعها للرفاق وكل منا يشرح لهم في دوره بعض الامور العلمية مرة في الاسبوع . وقد رفعت درجة الحرارة في غرفة الجلوس فوق الستين فذاب الجليد في غرفتي وبلل ثيابي »

ولما عادت الشمس في الثاني والعشرين من شهر اغسطس خرجنا من السفينة كلنا لاستقبالها ولا يعلم ما يشعر بهِ المرء من البهجة حين رؤية الشمس الا اذا حجبت عن

بصره شهوراً متوالية . فنظرنا الى السماء كلنا كأن فيها عنصر الحياة وتلقفنا اشعة شمسها كما يتلقف العطاش بارد الماء حتى الغيوم رقصت طرباً وتوشت حواشيها بالوان قوس السحاب . ولما توارت الشمس في الحجاب وانبسط الشفق وراءها ظهر فيهِ الهلال كالعرجون القديم

ودنا حينئذ زمن المزالق فجعلنا نمرن الكلاب على جرها ونعد الخيام والمؤن وكان لابد لنا من ان نزن كل شيء وزناً دقيقاً لان المرء لايستطيع ان يجر اكثر من زاد ستة اسابيع واذا اردنا ان تطول مدة سفرنا اكثر من ذلك فلا بد من تقليل طعامنا

ولما شرعنا في السير كان الترمومتر على ٥٧ تحت الصفر أي ان البرد كان على اشده فلم نسر تسعة ايام حتى اضطررنا ان نعود ادراجنا من شدة البرد ولم نكن نخلع ثيابنا بل كنا ننام فيها الا جواربنا فاننا كنا نخلعها ليلا والا جلدت اقدامنا لان الاقدام تدفأ بانحصارها ضمن احذية الفرو فتترطب ثم تبرد وتجلد

وكنا ننام في اكياس صفقية لايدخلها الهواء كان ثقل الكيس منها اولاً ١٤ رطلاً ولكنها ثقلت رويداً رويداً بما تجمع عليها من ابخرة انفاسنا فبلغ ثقل الكيس منها لما رجعنا ٢٨ رطلا . وكنا في الصباح نلف الكيس لنحمله وفي المساء ننشره وندخل فيهِ فتذيب حرارة ابداننا بعض الجليد اللاصق بهِ او المتخلل نسيجهُ فيصير داخلهُ رطباً ونعلق جواربنا خارجاً عسى ان تتبخر الرطوبة منها فنجدها في الصباح مجلودة فنضع اقدامنا فيها رغماً عنا ويمضي على الواحد منا ثلاثة ارباع الساعة قبلما يتمكن من لبس جواربهِ وحذائهِ . فكنا ننهض الساعة الخامسة صباحاً فنقضي ساعتين في رفع اثقالنا قبل الشروع في السير ولم نكن نشعر براحة الا حين نعود الى اكياسنا في الليل التالي وندخن قليلا من التبغ اما ونحن سائرون جنوباً فلم نستطع ان نحمل التبغ معنا ، فحرمنا تلك اللذة ثلاثة اشهر متوالية وبلغنا حينئذ الدرجة ١٧ و٨٢ من العرض الجنوبي فابعدنا مئتي ميل عن ابعد ما وصل اليهِ غيرنا جنوباً ولم نخلع ثيابنا الا مرة واحدة وكنا حينئذ ثلاثة انا والدكتور ولسن والقبطان سكوت وقضينا في ذلك السفر ٩٤ يوماً وكنا نسير في اليوم ١٥ ميلا فلا نتقدم اكثر من خمسة اميال لان كلابنا مات اكثرها فكنا نضطر ان نتقدم خمسة اميال بنصف مزالقنا ثم نعود ادراجنا

ونجر النصف الثاني ودمنا على ذلك شهراً من الزمان الى ان بلغنا مرتفعاً من الارض حيث نستطيع ان نبقي بعض امتعتنا ولا نضل عنها فابقينا هناك كل ما يمكننا الاستغناء عنه وسرنا ببقية الامتعة والكلاب سيراً حثيثاً وجعلنا نقتر على انفسنا في الطعام فلا نأكل الا قليلا من السكر واللحم المقدد والبسكوت ولم يعد معنا ما نطعم الكلاب فكنا نذبح الكلب منها ونطعم رفاقه لحمه فعاش بعضها على بعض . وبلغ النصب منا ان صرنا لانستطيع في المساء رفع اقدامنا ودخول الخيمة ما لم نرفعها بايدينا . وصرنا نحلم بالطعام لشدة ما عرانا من الجوع وكثيراً ما كنت احلم ان امامي قطائف بحلوى وامد يدي اليها فتختفي من امامي . وكان واحد من رفيقيّ يحلم انه يأكل دائماً لكن الطعام لا يشبعه فيبقى جائعاً . ومرت الايام ونحن نقدم في سيرنا رويداً رويداً الى الحادي والثلاثين من دسمبر فبلغنا ابعد نقطة وصلنا اليها ونشرنا هناك العلم البريطاني

وها خلاصة ما كتبته في يوميتي في ٢٥ دسمبر يوم عيد الميلاد سنة ١٩٠٢

اليوم من اجمل الايام واقلها برداً واصفاها سماء ولقد اسرعنا في سيرنا بعد ان خففنا اثقالنا فصرنا نقطع عشرة اميال في اليوم . افطرنا على قليل من اللحم والبسكوت ومربى كبوش العلّيق وقد اتينا بهِ معنا من السفينة لهذه الغاية . اكل كل منا ملعقة منهُ ثم صوّرت رفيقيّ والعلم البريطاني فوق رأسيهما . ومشينا بعد ذلك اربع ساعات وجلسنا للغداء وسخنا طعامنا قبل اكلهِ وكان دوري في الطبخ . ومشينا ثلاث ساعات ونصبنا خيمتنا للمبيت وسخنت طعام العشاء وكان عشاء فاخراً فيهِ الكوكوى والبلم بدن وعزمنا ان لا نبعد اكثر مما نصل اليهِ في الثامن والعشرين من الشهر لان علامات مرض الاسكربوط كانت قد بدت فينا

« لكننا واصلنا السير حتى الحادي والثلاثين من الشهر ووقفنا حيث وصلنا وعن يميننا جبل شاهق يناطح السحاب ارتفاعهُ اربعة عشر الف قدم والجنوب والشرق منا سهل منبسط من الجليد لاحد له غير الافق والى الشمال شمس مشرقة يتدفق النور منها وهي تدور حولنا يوماً بعد يوم من غير ان تغرب . وقد نفد اكثر طعامنا وبدت علامات الاسكربوط فينا ولم يبق من كلابنا الا القليل وصار بعدنا عن السفينة نحو ٣٠٠ ميل فاضطررنا ان نعود ادراجنا رغماً عن انوفنا فحولنا وجوهنا نحو الشمال وسرنا القهقرى على ما بنا من التعب والضعف

« ثم اعترانا البهر فان نور الشمس كان ينعكس عن الثلج ويعمي بصرنا والذي يصاب بذلك يضطر ان يربط عينيهِ ويسير متلمساً حتى اذا انقضى سير النهار لم يجد في المساء غير قليل من الطعام لا يشبع جائعاً وهاك فقرة مما كتبتهُ ونحن راجعون

« ١٠ يناير مضى عليَّ يومان لم استطع ان اكتب فيهما كلمة لانني كنت مصاباً بالبهر. ذبحنا « كد » البارحة ومات « بوس » (اسما كلبين) سرنا خمسة اميال ونصف ميل قبل الظهر وثلاثة اميال ونصف ميل بعده. عصفت الريح ومعها ثلج رطب فذاب الثلج في خيمتنا وقضينا الليل كأننا في بركة ماء ولم يبق معنا الا ثلاثة كلاب »

« ١١ يناير لا تزال الريح تهب ومعها ثلج ناعم رطب. سرنا ثمانية اميال ولم يبق معنا الا كلبان »

ووصلنا الى حيث تركنا امتعنا فحملنا الطعام وتركنا كل ما سواه واصابني نزف دم هناك فلم اعد اعي على شيء ولولا رفيقاي لقضي عليَّ فانهما جرّا المزالق وحدهما وكانا يعاونانني على السير مع ما بهما من الضعف وبلغنا سفينتنا في الثالث من شهر فبراير فوجدنا هناك السفينة المسماة بالصباح وكانت قد ارسلت للتفتيش عنا وانقاذنا. وذهب رفاقنا فرقاً فرقاً للبحث والاستقصاء فلقي اكثرهم من المشاق اكثر مما لقينا انتهى

وخلاصة ما يقال عن سفر هذه السفينة ان جماعة من الانكليز — محبي الاكتشاف الراغبين في مصلحة وطنهم ورفع شأنهِ واحراز قصب السبق له في كل مفخرة — اكتتبوا بمال لارساله الى ابعد ما وصل اليهِ الناس جنوباً لاجل المكتشفات العلمية ولرفع العلم البريطاني على ما يمكن ان يكتشف من الاراضي فعاونتهم الحكومة الانكليزية بخمسة واربعين الف جنيه واقلعت السفينة من بلاد الانكليز في السادس من شهر اغسطس سنة ١٩٠١ بقيادة القبطان سكوت بعد ان زارها الملك والملكة فبلغت زيلندا الجديدة في اوائل دسمبر وغادرتها ليلة عيد الميلاد وكان فيها حينئذ ١١ ضابطاً و٣٧ بحاراً و٢٣ كلباً من كلاب المنطقة الشمالية لجر المزالق فسارت اولاً ١٠٠٠ ميل الى الجنوب ووجدت الثلج هناك فخاضت فيهِ ٥٠٠ ميل وبلغت شاطىء البر الجنوبي في ٩ يناير سنة ١٩٠٢ والظاهر ان حول القطب الجنوبي براً واسعاً اوسع من استراليا. والقطب الجنوبي في مركزه فلما بلغتهُ سارت بازاء شاطئهِ الشمالي ثم عادت الى لحف جبل اريس حيث شتت وهو بركان كبير يبعد عن زيلندا الجديدة نحو الفي ميل جنوباً واطبق الليل

عليها من ابريل الى اغسطس وجلد البحر حولها مسافة مئات من الاميال وبقي كذلك نحو عشرة شهور فانقطعت اخبارها

وفي اوائل نوفمبر قام القبطان سكوت والدكتور ولسن والملازم شكلتون واخذوا الكلاب كلها معهم وساروا جنوباً وجرى لهم ما اشير اليهِ في الفصل السابق ولما رجعوا وجدوا ان السفينة التي بعثت بها الجمعية الجغرافية الملكية وهي المسماة بالمورننج (الصباح) قد جاءت لمعونتهم فاوصلت اليهم كثيراً من الزاد وكذلك وصلت اليهم سفينة أخرى اسمها ترانوفا وبعد عناء شديد انفك الجليد من حول سفينة الدسكفري وعادت الى انكلترا بمن فيها من الرجال وما جمعوه من الآثار الطبيعية وما كتبوه من الارصاد الجوية والفلكية وكان لرجوعها شأن كبير في اوروبا وقد جاءتنا شركة روتر التلغرافية بتلغراف في اول ابريل من مدينة لتلتون تقول فيهِ « وصلت السفن الثلاث المرسلة الى جهات القطب الجنوبي (وهي دسكفري ومورننج وترانوفا) وقد ادركت الاخيرتان الاولى في فبراير فوجدتا كل من فيها بخير وقضى علماؤها والرواد فيها فصل الشتاء سنة ١٩٠٣ في ابحاثهم العلمية ثم جاء الربيع وكلهم في الصحة والاعتدال. وقد تحققوا ان بلاد فكتوريا لند تمتد الى الداخل على ارتفاع تسعة آلاف قدم فاستدلوا من ذلك على وجود بر واسع مرتفع حول القطب الجنوبي » هذا شأن الاوروبيين يبذلون النفس والنفيس في البحث والاستقصاء لكي تتسع معارفهم ويكون لهم السبق في كل شيء

(مقتطف مايو سنة ١٩٠٤)

القطب الشمالي

obeikandl.com

الدكتور ننسن والرحلة القطبية

دفعت جريدة الدايلي كرونكل الانكليزية الى الدكتور ننسن الرحالة الشهير اربعة آلاف جنيه على ثلاث رسائل مختصرة وصف بها سياحتهُ في الانحاء القطبية. فتشوف كثيرون من القراء الى مطالعة هذه الرسائل والاطلاع على ما فيها من الغرائب فرأينا ان نوافيهم بترجمتها وابقينا الكلام بلسان الدكتور ننسن مع ايجازنا فيهِ واضفنا اليهِ صوراً تتم بها الفائدة. قال: لم اكد انظر في الاسلوب الذي يجري عليهِ روّاد الانحاء القطبية حتى تبين لي انهُ ليس افضل الاساليب الموصلة الى المراد. وكان المعروف ان الجليد الذي يغطي البحر حول القطبة الشمالية يتقدم من الشمال الى الجنوب رويداً رويداً فيمنع سير السفن او يكسرها واذا سار الناس عليهِ بالمزالق بقوا في مكانهم او رجعوا الى الوراء لان سير الجليد جنوباً يساوي سير المزالق عليهِ شمالا او يزيد عليهِ. اما انا فانتبهت الى امر لم ينتبه اليهِ غيري وهو ان بعض الاشياء مما كان في السفينة «جنت» التي غرقت في الشمال الشرقي من جزائر سيبيريا الجديدة وجدت على الشاطىء الجنوبي الغربي من جزيرة غرينلندا فقلت في نفسي ان هذه الاشياء لم تبلغ شاطىء غرينلندا الا لانها جرت من نفسها على سطح الجليد ومرت على القطبة الشمالية في طريقها وعليهِ فاذا التصقت سفينة ببحر الجليد الذي يغطي الجهات الشمالية الشرقية وسلمت نفسها لرحمتهِ فهو يجري بها من نفسهِ كما جرى بتلك الاشياء من سيبيريا الجديدة الى غرينلندا. وجاهرت برأيي هذا في الجمعية الجغرافية الملكية بخطبة القيتها فيها في نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٩٢ بانياً كلامي على الامور الثلاثة الآتية وهي

(١) وجود قطع من الخشب على شاطىء غرينلندا واردة من سيبيريا

(٢) وجود بعض عصي الاسكيمو على شاطىء غرينلندا وهي مما يرميهِ الاسكيمو للصيد في بلاد الاسكا

(٣) عظم جبال الجليد التي تجري عند شاطىء غرينلندا الشرقي فان جرمها يدل على انها جرت مسافة طويلة في بحر مغطى بالجليد (كما ترى في الشكل الاول على الصفحة التالية وهو صورة قطعة كبيرة من الجليد جارية في البحر كالجبل الكبير)

ووجدت على الجليد الذي يجري في البحر شرقي غرينلندا غباراً ثبت بالبحث

فيهِ ميكروسكوبياً انهُ من غبار سيبيريا وهذا يدل دلالة واضحة على انهُ جرى من نفسهِ من شواطىء سيبيريا الى شرقي غرينلندا . وقلت في ختام تلك الخطبة انهُ يتبين من هذه الادلة ان في الاقطار القطبية تياراً يجري من البحر شمالي سيبيريا وبوغاز بهرنغ الى البحر الذي بين سبتسبرجن وغرينلندا ماراً بارض فرنس جوزف ولذلك فمن شاء دخول تلك الاقطار المجهولة فعليهِ ان يسلم نفسهُ للجليد بقرب جزائر سيبيريا الجديدة فيجري الجليد بهِ عفواً في تلك الاقطار غير سائل اجراً ولا شكوراً

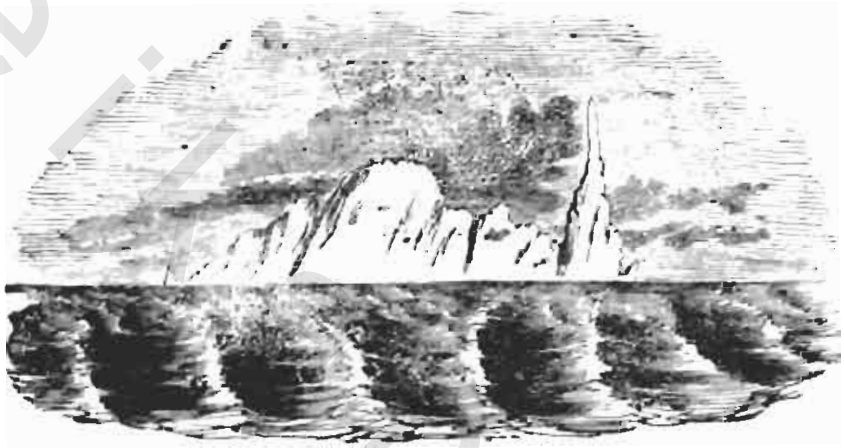

الشكل الاول

(تظهر هذه الاماكن للقارىء من النظر الى الشكل الثاني على الصفحة التالية وهو خريطة القطبة الشمالية والبحار والجزائر والبلدان التي حولها الى حد الدائرة الشمالية . وقد رسمنا فيهِ طريق ننسن في ذهابهِ وايابهِ كما سيجيء)

ولم اقل حينئذ ان هذا السبيل يوصل الى القطبة الشمالية نفسها بل انهُ يوصل الى انحائها المجهولة وهي الغرض المقصود بالذات

واتضح لي حينئذ انهُ يمكننا ان ننال هذا الغرض باسلوب من اسلوبين الاول ببناء سفينة متينة جداً تحتمل ضغط الجليد فنذهب بها الى حيث الجليد يجري من نفسهِ كما تقدم ونقيم فيها ونسلمها الى رحمتهِ فيجري بها رويداً رويداً الى ان يمر بالاقطار الشمالية المجهولة . والاسلوب الثاني ان نسير في قوارب صغيرة الى حيث الجليد يجري من نفسهِ وننصب خيامنا عليهِ ونقيم فيها وهو يجري بنا وبها فيعبر الاقطار المجهولة . واخترت الاسلوب الاول ولكنني اخذت الاهبة للاسلوب الثاني ايضاً اذا تغلب ضغط الجليد على سفينتنا فكسرها . وبذلت الجهد حتى تكون السفينة مما يحتمل كل ضغط

مهما كان شديداً واهتديت الى رجل نروجي من صانعي السفن بنى لي سفينة لم يبن امتن منها قط بالنسبة الى حجمها وهي سفينة الفرام التي دخلت بي الاقطار القطبية وعادت منها سالمة (وهنا اطنب في وصف هذه السفينة وكمال معداتها وقال انهُ لولا اتقانها ما بلغ تلك الاقطار . واسهب في اعتراض الناس عليهِ ومنهم الجنرال غريلي الرحالة الاميركي الشهير . ثم قال)

إلا ان ذلك كلهُ لم يثن من عزمي . وكان مجلس النواب النروجي قد وهبني المال الذي طلبتهُ لهذه الرحلة لكن هذا المال نفد في بناء السفينة فمنحني مبلغاً آخر من المال عن طيب نفس

وفي الرابع والعشرين من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٣ سارت السفينة على اهبة السفر وفي الحادي والعشرين من شهر يوليو (تموز) بلغنا مرفأ ڤردو وهو اقصى مرافىء نروج الشمالية (كما ترى في الشكل الثاني) فقمنا منهُ وسرنا شرقاً واخذنا في طريقنا ٣٤ كلباً من كلاب المزالق السيبيرية وظللنا نسير الى ان دخلنا بحر كارا الكثير المخاطر فلقيناه مغطى بالجليد ولكن لم يتعذر علينا وجود طريق فيهِ بجانب الشاطىء فسرنا الى ان ضيق الجليد علينا الخناق ومنعنا عن السير . وكان ذلك في السادس من شهر اغسطس (آب) فنزلنا على الشاطىء وقضينا الوقت في البحث عن نباتات البلاد وبنية ارضها وضافنا هناك اثنان من السكان وهما آخر من شاهدناه من نوع الانسان

وفي الثاني عشر من اغسطس انفتح الجليد في طريقنا فسرنا الهوينا وكانت العواصف تهب في وجوهنا من الشمال الشرقي فتعيق سيرنا ودامت على ذلك اياماً واسابيع الى ان بلغنا مينا دكسن وكنا عازمين ان نبقي رسائلنا هناك لكي يعود بها الرحالة وغنس الانكليزي الى اهلنا لكن الفرصة كانت أثمن من ان نضيعها بالنزول الى البر فواصلنا السير واكتشفنا جزائر كثيرة امام شاطىء سيبيريا لم تكن معروفة ورأينا ذلك الشاطىء يختلف عما يرسم في الخرائط عادةً وهو كثير الاجوان والخلجان والصخور والجزائر . ظاهره يدل على ان انهر الجليد تجري فيهِ وان بلاد سيبيريا كانت مغطاة ببحر من الجليد منذ عهد غير بعيد

وفي العشرين من اغسطس نزلنا على بعض الجزائر واصطدنا دببين وبعض الايائل

ولما اردنا استئناف المسير عصفت الانواء فصدّتنا اربعة ايام وحاولنا حينئذٍ ان نسير شمالاً فصدتنا الجزائر والجليد المتراكم فعدنا ادراجنا وعزمنا ان نشق في تلك الانحاء لكن العواصف كثّرت الجليد وفتحت لنا طريقاً فيهِ فعاودنا السير في السادس من سبتمبر (ايلول) وكنا حينئذ في بوغاز تامير وهو أضيق مما يرسم في الخرائط . وسرنا نحو راس تشليوسكن فبلغناهُ في ٧ سبتمبر وحينئذٍ ضيّق علينا الجليد الخناق فوقفت السفينة ونزلتُ الى البر فرأيتهُ سهولاً فسيحة فيها كثير من حجارة النرانيت الكبيرة مما جرت انهر الجليد بهِ في غابر الزمان ثم طرحتهُ في طريقها حيثما ذابت

وفي التاسع من سبتمبر انحل قيد الجليد فسرنا شمالاً ولكننا لم نبعد كثيراً حتى اعترضتنا جبال الجليد فصدتنا عن السير . وفي الخامس عشر منهُ وصلنا الى امام نهر اولنك فوجدنا ستة وعشرين كلباً من كلاب المزالق في انتظارنا وكان البارون تول قد اعدها لنا لان كلاب شرقي سيبيريا اقدر على الجري واحتمال المشاق من كلاب غربيها . ولم اجسر ان ادنو من الشاطىء لان البحر رقارق فخفت ان تجنح السفينة بنا فنضطران نقيم السنة كلها هناك فسرنا سيراً حثيثاً حتى مررنا امام جزائر سيبيريا الجديدة

وكان البارون تول قد اعد لنا المعدات اللازمة في تلك الجزائر حتى اذا اضطررنا ان نترك السفينة نجد من المؤونة ووسائط السفر ما يسهل علينا العودة الى بلادنا لكنني لم انزل الى البر لاراها وبقينا سائرين الى العشرين من سبتمبر وحينئذٍ قام الجليد في وجهنا كالسور المنيع

وفي الثاني والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٩٢ لصقت سفينتنا بجبل من الجليد والتحمت بهِ وكنا حينئذ عند الدرجة الثامنة والسبعين والدقيقة الخمسين من العرض الشمالي والدرجة ١٣٣ والدقيقة ٣٧ من الطول الشرقي وللحال احاط بنا الجليد من كل ناحية فسلمنا نفسنا لهُ فجرى بنا شمالاً في اول الامر ثم عصفت الرياح الشمالية فردتنا جنوباً حتى خفنا ان تحبط كل مساعينا وظللنا على مثل ذلك الى الثامن من نوفمبر وحينئذ عاد الجليد يجري بالسفينة الى الجهة الشمالية الغربية كما قدرت في اول هذه الرحلة واشتد ضغطهُ على السفينة في اوائل اكتوبر ودام فصل الشتاء كلهُ وكان يزيد وينقص مرتين كل يوم بحسب المد والجزر ولذلك اشتد فعلهُ ايام مد الربيع وكنا نسمع لوقوعهِ على السفينة اصواتاً قاصفة ترتعد لها فرائصنا ولولا متانتها الفائقة الحد لسحقها سحقاً ولكنهُ لم يؤثر فيها اقل تأثير . وكثيراً ما كان صوت صدمهِ لها يشتد

ويتوالى حتى يصم آذاننا ويمنعنا من سماع بعضنا بعضاً . ثم الفناه ولم نعد نعبأ به اذ ثبت لنا اننا في حصن حصين وحرز حريز . وكانت السفينة فوق ذلك محكمة الاوصال فلم نشعر فيها بالبرد الشديد

(ترى في الشكل الثالث على الصفحة التالية صورة سفينة يحيط بها الجليد وهي واقفة لا تستطيع حراكا)

وهبطت الحرارة بغتة وظلّ البرد شديداً كل فصل الشتاء والزمهرير حتى ان الزيبق جمد في الثرمومتر اسابيع كثيرة . وبلغ البرد الدرجة الثالثة والستين تحت الصفر لكن ثيابنا كانت سميكة مغطاة بنسيج لا تخرقهُ الرياح فلم نكن نشعر بالبرد ولو مشينا في الهواء ولم نضطر ان نشعل النار في غرف السفينة حتى شهر يناير (ك ٢)

كانت صحة رجالنا على ما يرام واجمع رأينا على ان الاصقاع القطبية موافقه للصحة لمن كان في سفينة مثل سفينتنا . وكان في السفينة دولاب تديره الرياح فتتحول قوة حركتها الى كهربائية تنير ليلنا الطويل فاذا هجمت الريح كنا نستصبح بالزيت

مرت الايام ونحن على ما يرام من الالفة والوئام ولكل منا عمل يعمل به خوفاً من السآمة والضجر . وكان عندنا كتب كثيرة للمطالعة وآلات موسيقية . والذين كانوا يهتمون بالمسائل العلمية مما كان شغلهم اكثر من طاقتهم في المراقبات الجوية والمغنطيسية والفلكية والنباتية والحيوانية والفسيولوجية والطبية وما اشبه

ووجدنا ان عمق البحر عند شواطىء سيبيريا قليل جداً ليس اكثر من تسعين قامة ثم يزيد بغتة بالتقدم شمالاً فيبلغ ١٦٠٠ الى ١٩٠٠ قامة . وهذا مخالف لما ظنهُ البعض من ان البحر رقارق في الانحاء القطبية . ولم نجد في ما كنا نستخرجهُ من قاع البحر شيئاً من المواد الحيوانية دلالة على ان الاحياء لا تقيم في تلك الاعماق . والماء تحت الجليد ليس شديد البرودة بل هو حار نوعاً وملوحتهُ شديدة ولعلهُ جار الى هناك مع تيار الخليج الآتي من خليج المكسيك فان حرارته تبلغ درجة فوق درجة الجليد ولكن تحت هذا الماء الحار ماء ابرد منهُ وهو مع ذلك احر مما يظن

ولم يكن جريان الجليد بالسفينة منتظماً في جهته ولا في سرعته وكثيراً ما كنا نعود ادراجنا ثم نتقدم ثانية كما يظهر من الخريطة السابقة ولكن مجمل سيرنا كان الى الغرب الشمالي في الشتاء والربيع ثم كنا نقف مكاننا صيفاً لان الرياح الشمالية كانت تصدنا عن السير

وفي الثالث عشر من شهر يونيو بلغنا الدرجة الحادية والثمانين والدقيقة الثانية والخمسين من العرض ثم صدتنا الرياح الشمالية الغربية واعادتنا على اعقابنا وبقينا ذلك

الشكل الثالث

الصيف كلهُ في تقهقر حتى الحادي والعشرين من اكتوبر فبلغنا الدرجة الثانية والثمانين

من العرض ولم تنتهِ سنة ١٨٩٤ حتى بلغنا الدرجة الثالثة والثمانين والدقيقة الرابعة والعشرين

وفي الرابع من يناير (ك ٢) سنة ١٨٩٥ بلغ ضغط الجليد على سفينتنا مبلغاً لم يبلغهُ قبلاً فان سمكه صار حينئذ ثلاثين قدماً فشدَّ عليها شدًّا عنيفاً وكانت قطعهُ ترد تباعاً ويلطم بعضها بعضاً فتراكمت حول السفينة حتى كادت تغطيها وانقطع املنا من نجاتها لاننا قلنا إما ان تنكسر واما ان يطمرها الجليد . فنزلنا منها وانزلنا كل ما نحتاج اليهِ من الاطعمة والآنية والوقود والخيام والمزالق ونصبنا خيامنا على الجليد واقمنا فيها . لكن السفينة قويت على ذلك الضغط الشديد وتماصت من الجليد المحيط بها وعلت فوقهُ ولم يكسر لوح من الواحها ولا ضلع من اضلاعها فعدنا اليها واخذت تجري بنا في الجهة الشمالية الشرقية

وتبيّن لي حينئذ انها ستصل من نفسها الى اقصى ما يمكنها البلوغ اليهِ شمالي ارض فرنس جوزف (جزائر في اقصى الشمال) . ثم تبلغ البحر شمالي سبتسبرجن في اوائل الصيف المقبل (انظر الشكل الثاني) واردت ان اعرف احوال الاماكن التي شمالي طريقنا ولا يكون ذلك الا بواسطة المزالق ومعلوم انهُ اذا ابعد احد منا عن السفينة تعذر عليهِ ان يجدها ثانية في تلك الاصقاع فلم يسلم ضميري ان اكلف احداً بهذه المهمة فاخذتها على نفسي واخترت من رفاقي واحداً فقط وهو الملازم جنسن واخبرتهُ بما عزمت عليهِ فقبل ان يذهب معي عن طيب نفس فسلمت قيادة السفينة لرجل من رجالها اعتقد كفاءتهُ واثقاً انهُ يعود بها وبمن فيها سالمين . ومضى فصل الشتاء وانا اتهيأ لمغادرة السفينة وصنعت مزالق متينة لتجرها الكلاب ولو كان الجليد كثير الحزون وبنيت قاربين طول كلٍّ منهما ١٢ قدماً وهو يسع رجلاً وما يلزم له من المؤونة اربعة اشهر صنعتهما من القنا الهندي وغطيتها بالمشمع وبلغ وزن كل منهما ٤٠ ليبرة فقط . وكانت المؤونة لحماً وسمكاً مقددين وخبزاً وزبدة

كان غرضي ان اغادر السفينة حالما يشرق فجر النهار القطبي ففي السادس والعشرين من فبراير نزلت منها بست مزالق و٢٨ كلباً والقاربين والمؤونة اللازمة لي ولجنسن وللكلاب وسرنا اربعة ايام متوالية فوجدنا ان كلابنا لا تستطيع جر ما معنا لان سطح الجليد غير مستوٍ بل كثير الحزون فعزمنا على العودة الى السفينة لتخفيف احمالنا وفيما

نحن عائدون اشرقت الشمس فوق الافق وكان ذلك في الثالث من شهر مارس (اذار) فاذا نحن بابدع منظر شاهدناه منذ دخولنا الاصقاع القطبية بعد ليلها الطويل ووجدنا بالرصد اننا بلغنا الدرجة الرابعة والثمانين والدقيقة الرابعة من العرض الشمالي

فلما وصلنا الى السفينة خففنا احمالنا فلم نبق منها الا زاداً يكفينا مئة يوم ويكفي كلابنا ثلاثين يوماً وقمنا في الرابع عشر من شهر مارس (اذار) وودعنا رفاقنا واخذنا معنا ثلاثة مزالق فقط والقارين والكلاب الثمانية والعشرين . وفي الثاني والعشرين من مارس بلغنا الدرجة الخامسة والثمانين والدقيقة العاشرة من العرض . وكنا كلما مر يوم يسهل سيرنا بخفة زادنا ولكن كانت العوائق كثيرة من الانواء والزوابع وقطع الجليد المتراكمة في طريقنا فكنا كلما وصلنا الى حاجز منها نضطر ان نحمل المزالق على اكتافنا ونقطع الحاجز بها ولا نتخلص من عائق حتى يصادفنا آخر وكأن قطع الجليد جيوش من الكماة في حرب وصدام تجتمع وتفترق حولنا ويلطم بعضها بعضاً باصوات مزعجة

وفي السابع من ابريل (نيسان) بلغنا الدرجة السادسة والثمانين والدقيقة الرابعة عشرة من العرض الشمالي ولكن سطح الجليد كان يزداد حزوناً حتى يئست من مواصلة السير عليه فخرجت اسعى وحدي بعد ان لبست خفيّ الطويلين وصعدت على اعلى مرتفع وجدتهُ واستطلعت ما حولي من البلاد فلم ار ارضاً ولا ما يدل على ارض بل ظهر لي ان الرياح تسوق الجليد كيفما شاءت فلا يعيقهُ شيء . وارجح انهُ لا توجد ارض بقرب القطبية الشمالية من هذه الجهة ولو فرضنا وجودها من الجهة الاخرى

وبقيت حرارة الهواء على الدرجة ٤٠ تحت الصفر ثلاثة اسابيع متوالية وارتفعت في غرة ابريل الى الدرجة الثامنة تحت الصفر ثم عادت فهبطت الى الدرجة السادسة والثلاثين وكنا قد تركنا ثيابنا الدافئة (وهي من فراء الذئاب) في السفينة تخفيفاً للحمل فقرصنا البرد وكان عرقنا يصير جليداً في ثيابنا كل صباح فتيبس علينا وتصير كدروع الحديد حتى اذا دخلنا الكيس الذي ننام فيه نبقى ساعة قبلما يذوب الجليد من ثيابنا وتمضي نصف ساعة اخرى قبلما تدب فينا الحرارة . وحالما نخرج من الكيس في الصباح تجلد ثيابنا ثانيةً . وبلغت الحرارة في شهر مارس الدرجة التاسعة والاربعين تحت الصفر

وفي الثامن من ابريل يئسنا من التقدم نحو القطب الشمالية فدرنا نحو جزائر فرنس جوزف . وقد لقيا في عودتهما من المخاطر ما يشيب الولدان

***

وفي الثامن من ابريل حوّلنا وجهنا نحو الجنوب نحو ارض فرنس جوزف لكي نعود الى الوطن . وكان كل منا يدير ساعتهُ كل ليلة قبلما يدخل كيسهُ الذي ينام فيهِ. وفي الثاني عشر من ابريل واصلنا السير بالسرى ستاً وثلاثين ساعة ولما اردنا النوم نظرنا الى ساعتينا فاذا هما واقفتان فندمنا على ما فرط منا ولات ساعة مندم .وقمت في الصباح ارقب الشمس وادرت ساعتي بحسبها واردت ان اصحح الوقت برصد القمر فوجدت انني تركت الزيج في السفينة سهواً

ولما بلغنا الدرجة الخامسة والثمانين وذلك في الخامس والعشرين من ابريل رأينا على الجليد آثار ثعابين من ثعالب تلك البلاد فاستنتجنا اننا قريبون من البر ولكننا نظرنا حوالينا فلم نر براً ولا ما يدل عليهِ ولم يكن سطح الجليد متصلاً بل كانت فيهِ ثغر كثيرة واخاديد كبيرة مغطاة بقشرة رقيقة من الجليد فلا يمكننا الوثوب من فوقها ولا الدوس عليها فكنا نضطر ان ندور حولها وكثيراً ما كنا ندور اميالاً كثيرة ثم نعود طريقنا الاول فيمضي نصف يوم من غير ان نتقدم خطوة . وكثرت هذه الاخاديد بتقدمنا جنوباً فعاقت سيرنا وكاد زادنا ينفد فاخذنا نقتل الكلاب التي معنا واحداً بعد الآخر ونطعم لحمها لرفاقها . وقد عافت الكلاب اولاً أكل اخواتها ولكن الجوع كافر فألفت ما نفرت منهُ وبلغ منها القرم والجوع اخيراً ان صارت اذا قتلنا واحداً منها لا تدع دمهُ يصل الى الارض . وهزلت ابدانها رويداً رويداً لقلة الطعام حتى لم تعد تستطيع السير ولم يبق لنا مناص من قتلها

وزادت الاخاديد في شهر يونيو (حزيران) حتى كاد السير يتعذر علينا وقل زادنا فصرنا نتبلغ بهِ تبلغاً . وكنت احسب اننا سنصيب ارضاً شمالي ارض فرنس جوزف وهي التي ذكرت في خريطة بير وسميت ارض بترمن ولكن مضت الايام والشهور ونحن نسير في طلب هذه الارض لعلنا نجد فيها صيداً نصطاده فلم نعثر عليها . واخيراً رأينا حيواناً كبيراً من نوع الفقمة (ترى صورتهُ على الصفحة التالية) فطابت نفوسنا برؤيتهِ وعالجناه برصاصة اصابت منهُ مقتلاً فعزمنا ان نلقي هناك عصانا فنتغذى بلحم

هذا الحيوان وننتظر الى ان يذوب الجليد . وكان ذلك في الثاني والعشرين من شهر يونيو (حزيران) . وبعد قليل التقينا بثلاثة ادباب فقتلناها وكثر عاينا اللحم وعلى كلبينا الباقيين في قيد الحياة فأكلنا وشبعنا وطابت نفوسنا

ترى في هذا الشكل صورة فقمتين العليا منهما من النوع الغرينلندي والسفلى من النوع الاوقيانوسي والفقمة كثيرة في الانحاء الشمالية وتوجد ايضاً في الاوقيانوس الاتلنتيكي وفي البحر المتوسط

وفي الثاني والعشرين من شهر يوليو (تموز) سهل علينا السير على الجليد ولكن اصابتنا مصيبة كادت تقضي على رفيقي وذلك اننا وصلنا الى خليج واسع فاردنا ان نعبره بقاربينا وفيما انا مشتغل بانزال قاربي سمعت صرخة شديدة فالتفت واذا رفيقي

جونسن مطروح على ظهره وفوقهُ دب كبير وهو ماسك بخناق الدب وكانت بندقيتي على ظهر القارب فحاولت نزعها منهُ فوقع القارب في الماء وناداني جونسن قائلاً « اسرع اليّ والا هلكت » فلما سمعت ذلك اظلم الضياء في عينيّ فجذبت القارب جذبة عنيفة رفعتهُ بها من الماء واخرجت البندقية منهُ باسرع من لمح البصر واطلقتها على الدب ولانشغال بالي اطلقت الحديدةاليمنى وكانت محشوة خردقاً (رشاً) لا رصاصاً ولكنها اصابت منهُ مقتلاً فوقع يختبط بدمائهِ فاحتملناه طعاماً ؛

وكثر الماء المكشوف حينئذ ولم يعد الجليد الذي عليهِ طبقة متصلة بل صار قطعاً متفرقة فاضطررنا ان نثب من قطعة الى اخرى ونحن في خطر الانقلاب كل لحظة ودمنا على ذلك اسبوعين كاملين

وفي السادس من اغسطس اصبنا ارضاً وذلك عند الدرجة الحادية والثمانين والدقيقة الثامنة والثلاثين وهي اربع جزر مغطاة بانهر الجليد وامامها بحر مكشوف لا جليد عليهِ غير قطع كبيرة متفرقة فانزلنا قاربينا فيهِ وكان لم يزل معنا كلبان فقتلناهما لكي نريحهما من الموت جوعاً وسرنا نشق عباب ذلك البحر ورأينا هناك كثيراً من طيور الماء الوردية الصدر وهي اجمل ما يشاهد في تلك الاصقاع . وقد شوهد هذا الطائر قبلاً ولكن لم يعلم احد وطنهُ ولا من أين يأتي ولا إلى أين يذهب فثبت لنا حينئذٍ ان وطنه في تلك الجزائر وفيها يعشش ويفرخ ومنها يقطع الى غيرها ويعود اليها

ثم تكاثف الضباب فمنعنا عن رؤية ما امامنا . وانقشع بعد ايام فاذا نحن بارض فسيحة او سلسلة من الجزائر الى الغرب والجنوب منا فاستغربنا ذلك لانا لم نجد لتلك الارض اثراً في خريطة بير فاستنتجت انني مخطىء في تقدير الطول او ان الجليد سار بنا مسافة طويلة جداً ونحن لا ندري وحسبت اننا اذا جددنا السير الى جهة الجنوب والجنوب الغربي وصلنا الى جزيرة سبتسبرجن فنجد فيها بعض سفن النروجيين الذين يصطادون الفظ فنركبها ونعود معهم الى الوطن . فبذلنا جهدنا تارة بالتجذيف في الماء حيث نجد الماء صالحاً لقاربينا وطوراً بجرهما على الجليد الى ان كان اليوم الثامن عشر من شهر اغسطس فعصفت الرياح بغتة وقذفت قطع الجليد نحو الشاطىء وحبستنا فيهِ اسبوعاً من الزمان وانحل قيدنا يومين ثم عاد الجليد فتراكم حولنا ومنعنا من السير

ورأينا حينئذ ان فصل الشتاء صار على الابواب ولا فائدة من الوصول الى جزيرة سبتسبرجن لو وصلنا اليها لان السفن تكون قد غادرتها فعزمنا ان نشتي حيث كنا ولا نضيع الوقت في السفر فيدهمنا الشتاء بقره وليله الطويل قبل ان نصطاد ما يكفينا طعاماً فيهِ . فنزلنا على البر واخذنا من ساعتنا نصيد الفظ ونستخرج دهنه لكي نوقده في فصل الشتاء . والفظ حيوان كبير (ترى صورته على هذه الصفحة) يتعذر على رجلين ان يحملاه او يجراه فصرنا نرميهِ بالرصاص ونقتله ثم نجلس عليهِ ونسلخ جلده ونستخرج دهنه فتشربت ثيابنا من دهنهِ ولم تعد تصلح لوقايتنا من البرد ولم يكن عندنا غيرها . وكانت الارنب كثيرة فاصطدنا بعضها فصار عندنا من اللحم والجلود ما يكفينا . ثم اخذنا نبني كوخاً نأوي اليهِ ووجدنا حجارة بنيناه منها ومن الطحلب والجليد ووجدنا خشبة القاها البحر على الشاطىء فوضعناها فوق الحجارة وبسطنا

صورة الفظ

جلود الفظ فوقها واثقلناها بالحجارة وصنعنا للكوخ مدخنة من الجليد ليصعد الدخان منها ويتجدد الهواء فلا نموت اختناقاً . وكان طعامنا لحم الارنب ووقودنا دهن الفظ . وخطنا كيساً كبيراً من جلود الارنب كنا ننام فيهِ معاً وفرشنا تحتنا كثيراً من جلودها وكان معنا مصابيح كنا نملأها بدهن الفظ ونشعلها دواماً فتنير كوخنا وتسخن هواءه . وكان معنا قدر من الالومينيوم كنا نطبخ فيهِ طعامنا من لحم الارنب فنأكلهُ مسلوقاً في الصباح ومقلوّاً في المساء . وكان الجانب الاكبر من كوخنا تحت الارض ولذلك ولان مصابيحنا كانت موقدة دائماً لم يزد البرد في اسفله عن درجة الجليد واما جدرانهُ فكانت باردة جداً يكسوها الجليد فينعكس نور المصابيح عنها ويخال لنا اننا في قصر مرصع باللآلىء لولا ما بنا من القرّ والقذر . وكان طول الكوخ عشرة اقدام وعرضه

ستاً وعلوه نحو قامة حتى نكاد نرفع رؤوسنا فيهِ . ولم يكن لنا شغل نشتغل بهِ فكنا نأكل وننام وننام ونأكل يوماً بعد يوم واسبوعاً بعد آخر . واذا سكنت العواصف خرجنا من كوخنا ومشينا ساعة من الزمان لترويض ابداننا . وانقطع مجيء الادباب من نوفمبر (ت ٢) الى مارس (اذار) ولكن الثعالب بقيت تتردد علينا وتجلس على سطح كوخنا تقرض ما عليهِ من اللحم المقدد ونحن نسمع صوتها فنحلم ان الجرذان تقرض الطعام في منازلنا . وهي من النوع الابيض والنوع الاسود ولكننا لم نصطد شيئاً منها لان رصاصنا كان اثمن من ان نضيعهُ في صيدها . والدب اصغر حيوان رأينا ان نسخى عليهِ برصاصة . ومضى الشتاء ونحن في احسن صحة ولو كان معنا كتب ودقيق وسكر لعشنا عيشة الملوك

ثم دخل الربيع واشرقت الشمس وأتت الطيور . ولما رأيت اول عصابة منها شعرت كأن حياة جديدة دبّت في عروقي ووردت عصابات كثيرة بعدها فانتعشت نفسي برؤياها . ورأيت الافق في الجهة الجنوبية الشرقية اسود فقلت لا بد ان يكون ذلك انعكاساً عن بحر يسهل السير في مائهِ والجري مع جليده فاخذنا نستعدُّ للسفر

وكانت ثيابنا قد مزقت وتراكم عليها الدهن والوسخ فخطنا ثوبين من الاحرمة التي معنا . وحاولنا غسل قمصاننا فلم نجد الى تنظيفها سبيلاً . ولم اشعر قط بالحاجة الى الصابون كما شعرت حينئذ . فجعلنا نفركها بدم الادباب والطحلب فلم تنظف وجربنا اساليب اخرى فلم نجد نفعاً واخيراً جعلنا نسلقها سلقاً ونكشط الوسخ عنها بالسكاكين فنظفت قليلاً فلبسناها ونحن نحسب ان لبس الثياب النظيفة سيكون اول نعمة نالها في بلادنا اذا بلغناها سالمين . وصنعنا كيساً جديداً من جلود الادباب لننام فيهِ . وكان معنا خيمة من الحرير فمزقتها عواصف الخريف واضطررنا ان نخيط خيمة غيرها من شراع مزلقتينا

وفي التاسع عشر من شهر مايو (ايار) شرعنا في السفر جنوباً وبلغنا البحر بعد خمسة ايام لكن العواصف منعتنا من النزول فيهِ حتى الثالث من شهر يونيو (حزيران) وكان الجليد يغطيهِ فسرنا عليهِ بالمزلقتين بعد ان نشرنا عليهما شراعاً وفي الثاني عشر من الشهر بلغنا طرف الجليد المتصل ورأينا الماء مبسوطاً امامنا كالمرآة فقرنا القاربين معاً ونشرنا عليهما شراع المزلقتين وسرنا سيراً حثيثاً بجانب الشاطىء . ونزلنا ذات

يوم على البر بعد ان ربطنا القاربين بقطعة ناشزة من الجليد ولم نبعد عنهما حتى انحل رباطهما وساقتهما الرياح الى قلب البحر وكان فيهما زادنا وبنادقنا ورصاصنا وبارودنا وكل ما نملكه في تلك البلاد المنقطعة فوقفنا ننظر اليهما كمن اصيب بجنة ولكن لم يكن الا لحظة حتى ثاب اليّ عقلي فطرحت نفسي في الماء وجعلت اسبح وراءهما بكل جهدي لكن القاربين كانا اسرع مني لان شراعهما كان منشوراً وكانت الريح تسوقهما. وخدرت اعضائي من برد الماء حتى صار يعسر عليّ استعمالها. لكن في الانسان قوة مذخورة الى حين الشدة فدبّت في بدني حينئذ من حيث لا ادري فوثبت الى القاربين كأني طائر ولم يكن الا برهة يسيرة حتى بلغتهما وصعدت عليهما وعدت بهما سالماً

والظاهر ان الحيوانات التي كنا نكثر من صيدها كالدب والفظ حقدت علينا وعزمت ان تثأر لاخواتها منا فجاءنا فظ منها في اليوم التالي وطعن جانب القارب بنابه الطويل فخرقهُ ودخل الماء من الخرق بسرعة حتى كدنا نغرق فدفعناه الى البر ونزلنا منهُ فنجونا ونجيناه من الغرق ولكن تبلل كل ما فيهِ من الاحرمة والصور الفوتوغرافية

وفي اليوم التالي قمت باكراً وصعدت على اكمة لكي اشاهد البلاد التي حولنا فسمعت اصوات طيور البحر وهي كثيرة تصم الاذان وسمعت بينها صوتاً يخالفها وهو صوت نباح كلب سمعتهُ واضحاً حتى لم اشك فيهِ ولكنهُ ضاع بين اصوات الطيور فحسبت انهُ وهم. ثم عصفت الريح من تلك الجهة فسمعت الصوت ثانية. سمعتهُ واضحاً جداً فلم يبق في نفسي ريب انهُ صوت كلب واننا على مقربة من الناس فهرعت الى جونسن وايقظته قائلاً اني اسمع نباح كلب فلم يفهم ما قلت. فأكلت بلغةً وشددت حذائي الطويل واسرعت الى الشاطىء واذا انا بالمستر جكسن (الذي نجاهما) ومن يصف ما طفح على قلبي من السرور حينئذ

***

لقينا عند جكسن ورفاقهِ من حسن الضيافة ما لم تر مثلهُ تلك الاقطار وكانوا بانتظار سفينة مزمعة ان تأتي اليهم بالمؤن فالحوا علينا لكي نقيم معهم الى حين مجيئها فنعود فيها فلم نر بدًّا من اجابة طلبهم والتنعم برفاه الحضارة بعد شظف العيش. فاغتسلنا بماء سخن ولبسنا ثياباً نظيفة واكلنا من شهي الطعام وشربنا من فاخر المدام

واقبلنا على الكتب والجرائد اقبال الجياع على القصاع فانتقلنا في لحظة من الزمان من دار الوحشة حيث لا انيس غير الدباب والثعالب الى بين اقوام كرام حاطونا بكل اسباب الانس والرفاهة كأنهم ارادوا ان يجلوا عن قلوبنا صدأ الوحشة ويمحوا منها آثار المحن

فاقمنا معهم نبحث في البلاد بحثاً علميًّا ونرسم الخرائط حسبما جمعنا من المراقبات

صورة نانسن خارجاً من كوخه وهو لابس ثوباً حريرياً صفيقاً فوق الفراء

ونحن في انتظار السفينة ولما ابطأت علينا اسقط في يدنا وخفنا ان نضطر الى البقاء في تلك الجزيرة شتاءً آخر وزاد قلقي لانني خفت ان تعود سفينتنا الى الوطن قبلنا فيحسبنا اهلنا في عداد الهالكين ويشتد حزنهم علينا

ثم جاءت السفينة وسرَّ من فيها بنا سروراً عظيماً وانزلوا ما معهم من المؤونة الى البر في اسبوع من الزمان واخذونا معهم واكرموا مثوانا اكراماً لا تنساه مدى

الدهر . وكان الجليد كثيراً في طريقنا ولكن ربّان السفينة تمكن بمهارته من تجنبه فلم يعق سيرنا وبلغنا بلاد نروج في ستة ايام . واول شيء اهتممنا به بعد وصولنا استقصاء اخبار الفرام ومن فيها فقيل لنا انهُ لم يسمع احد عنها شيئاً . وارسلت رسالة برقية الى ملك نروج ورجال حكومته اخبرهم اننا تركنا الفرام آمنة هي ومن فيها .

صورة جونسن لابساً ثوباً من جلود الدئاب

ويقيننا انها تعود الى الوطن سالمةً وكان ذلك في الثالث عشر من اغسطس وفي الحادي والعشرين منهُ ورد عليّ تلغراف ان الفرام عادت بمن فيها الى المرفأ الامين

ولما تركت الفرام على ما تقدم اوصيت ربانها واسمه سفردرب ان يدعها تسير غرباً حسبما يجري بها الجليد وان يحرص على حياة من فيها من البحارة اتم الحرص ويعود

بهم سالمين باسلم الطرق وقلت له ايضاً انني لا اعلم متى ينحل قيد الجليد من حول السفينة ولكن فيها من المؤونة ما يكفيك ويكفي رجالك بضع سنوات فلا خوف عليكم من الجوع ولكن اذا طالت المدة كثيراً لسبب غير منتظر وخفتم من نفاد المؤونة او اذا ساءت صحة البحارة او رأيت انت او هم ان لا بدّ لكم من تركها فاتركوها وامضوا الى ارض فرنس جوزف او الى سبتسبرجن فاننا نفتش عنكم هنالك اولاً بعد رجوعنا وحينما تصلون الى تلك الاراضي اقيموا رجماً من الحجارة وضعوا في اعلاها كتابةً عما فعلتم وبما انتم عازمون عليهِ واقيموا شمالي كل رجمة رجمة اخرى صغيرة على اربعة امتار منها فنعلم انكم انتم اقمتموها ونبحث عما تركتم لنا من الاخبار فيها حتى نقتفي اثركم . ولا بدّ من ان تصنعوا كل ما يلزم لكم من القوارب والمزالق واحذية الثلج لكي يسهل عليكم السفر برًّا وبحراً وخذوا معكم ما يلزم لكم من المؤونة وما تستطيعون

صورة الشفق القطبي وقد تجعدت حواشيه السفلى كاهداب الثوب

حمله منها . ولا بد من ان تكونوا متأهبين لترك السفينة في لحظة من الزمان اذا حدث فيها حادث فجائي كأن حرقت او انكسرت . اي يجب ان تضعوا تجاهكم على الجليد ما يكفي من المؤونة وتنقلوه امامكم بانتقال السفينة بكم من مكان الى آخر حتى اذا غادرتموها فجأة تجدون امامكم ما يسد رمقكم ويكفيكم في سفركم . ولا بد من ان توضع سائر المواد على السفينة بحيث يمكن اخراجها منها الى البر في لحظة من الزمان . واذا تركتم السفينة فلا بد من ان تأخذوا معكم البنادق والرصاص والبارود وكل الكتابات والمراقبات العلمية والصور الفوتوغرافية

(واسهب الدكتور نانسن في ذكر الوصايا التي اوصاهم بها قبل خروجهِ من السفينة فاجتزينا عنها بما تقدم)

فلما تركنا الفرام اخذ الربان سفردرب ورجاله يعدون القوارب والمزالق

والاحذيةوالكلاب والعدد ويمتحنونها فاستعدوا اتم استعداد لتركها اذا دعت الضرورة

وفي اواخر مارس (اذار) اخذ الجليد الملتصق بها يتشقق وينفصل عنها ولكن جانباً منه بقي متصلاً بها حتى آخر شهر يوليو (تموز) وحاول رجالها ان ينسفوه بالبارود ففتح البارود فيهِ ثغوراً صغيرة ولكنه لم يخلصها منه وكان سفردرب واقفاً عليه يتكلم مع بعض رجاله وينظر في امر يستخدمه لتخليص السفينة واذا بها قد انفصلت عن الجليد بغتة واندفعت في الماء بصوت يصم الآذان وعلا الزبد حتى حجب وجه السماء . ولكن زمان حريتها لم يطل لان الجليد عاد فقبض عليها وضيق الخناق

ولما كانت في قبضة الجليد كان يسير بها غرباً وزاد سيره من اواخر ابريل

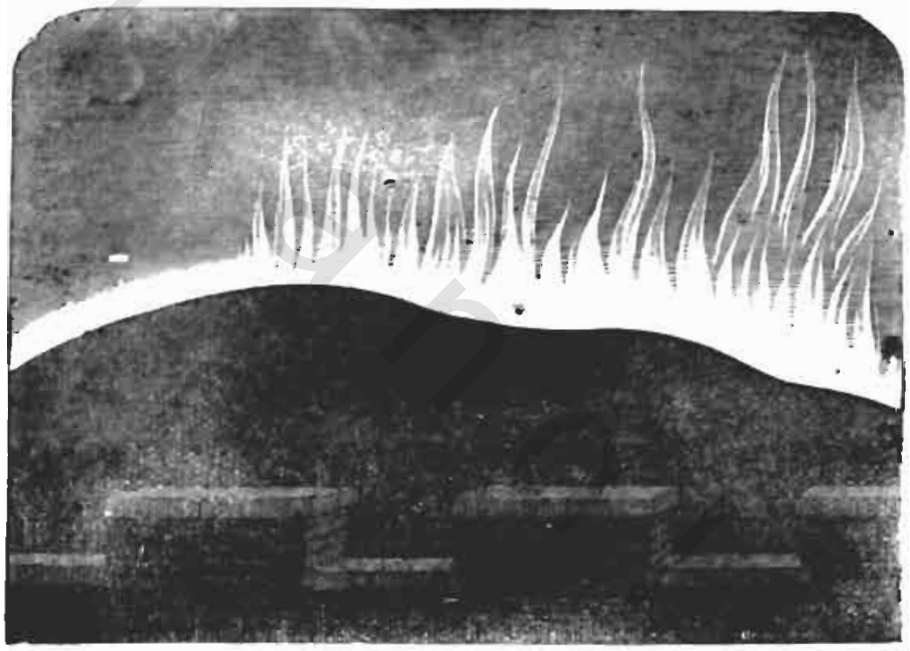

صورة الشفق القطبي والسنته النارية ممتدة الى الاعلى

(نيسان) الى اواسط يوليو (تموز) وحينئذ عصفت الرياح الجنوبية الغربية وصدتها عن السير بل ارجعتها على عقبها . ثم تراكم الجليد حولها وجعل يجري بها كل مدة الخريف والشتاء وظلت ملتصقة بهِ حتى اواسط الصيف التالي ولو لم تفلت منه حينئذ لسار بها الى غرينلندا شمالي اميركا

وكانت في كل المدة التي سار بها الجليد عرضة لضغط شديد وزاد الضغط في شهر يونيو الماضي حتى كان الجليد يرفعها فتصبح على ظهره ولولا عرض قاعها ودقة موازنتها لقلبت على احد جانبيها . وكانت تعلو وتسفل مرتين كل يوم لكن الضغط الشديد لم يضر بها لمتانة بنائها

ولم يشتد البرد في الشتائين الاخيرين اكثر مما اشتد في الشتاء الاول فثبت لنا انه يكون على اشده شمالي سيبيريا . وكانت الحرارة في فصل الصيف على درجة الجليد غالباً واحياناً قليلة كانت ترتفع عنها بضع درجات وبلغت مرةً واحدة ثماني درجات بميزان فارنهيت فوق درجة الجليد وكان الضباب قليلاً لقلة البخار في الهواء والمطر نادر جدًّا

وكثر ظهور الشفق القطبي كل مدة سفرنا وسفر الفرام وقلما مضى يوم لم تظهر فيهِ هذه الظاهرة البديعة بالسنتها النارية والوانها الساطعة وبهائها الفائق الوصف . ولكننا لم نسمع منها صوتاً ولا رأيناها قريبة من الافق

وكانت كهربائية الهواء تشتد احياناً كثيرة وكنا نجمع جانباً منه في انابيب صغيرة ونسدها سدًّا محكماً لنمتحنها بعد عودتنا

وبلغ عمق الماء ١٨٠٠ قامة الى ١٩٠٠ قامة وظل كذلك الى ان قربت الفرام من سبتسبرجن وبقي الماء السطحي ابرد من الماء الذي تحته

وظلت صحة النوتية على ما يرام ولم يصب احد منهم بالاسكربوط فثبت لنا ان العناية بالطعام والشراب تمنع هذا الداء منعاً تامًّا

ولما رأى البحارة في الصيف الماضي انه يمكنهم ان يتخلصوا من الجليد و يسيروا جنوباً جعلوا يبذلون الوسع في هذا السبيل واعتمدوا على نسفهِ بقطن البارود . وحدث مرةً ان الربان سفردرب ورجلاً من رجالهِ لغما الجليد ووضعا فيهِ البارود وأشعلا الفتيل وحاولا الهرب فخسف بهما حيث كانا واقفين ووقعا في الماء وكانت حافة الجليد عالية حولهما فلم يستطيعا الصعود عليهِ فتصور لهما الموت بعد ان دافعاه ثلاث سنوات لان النار كانت تمتد في الفتيل وعن قليل تصل الى البارود بقربهما لكن العناية ساعدتهما على الامساك بقطعة من الجليد فصعدا عليها وفازا بالنجاة قبل اشتعال البارود

وفي التاسع عشر من يوليو (تموز) انفك قيد السفينة من الجليد بعد عناء شديد فسارت الهوينا بين قطعهِ المتراكمة والبخار يحثها والرجاء يسوقها والحكمة تقودها فقطعت في شهر من الزمان مئة وخمسين ميلاً اكثرها مغطًى بقطع الجليد الكبيرة التي لا ترى العين نهايتها لاتساع سطحها

وفي الثالث عشر من اغسطس بلغت البحر الخالي من الجليد وهو نفس اليوم الذي بلغنا فيهِ البر وما لبثت طويلاً حتى التقت بسفينة اخرى فحيتها وسألتها عنا فاجابتها اننا لم نصل الى نروج فقطع الذين فيها كل امل من نجاتنا وكانوا الى ذلك الحين يحسبون اننا نتجو ونسبقهم فعزموا ان يعودوا ويفتشوا عنا لكنهم قالوا لنصل الى نروج اولاً عسى ان يكون فيها خبر آخر

وفي الليلة العشرين من اغسطس القت الفرام مرساها واسرع ربانها الى البر وأتى بيت التلغراف وقرع الابواب والكوى ولا سامع ولا مجيب واخيراً نهض مأمور التلغراف مغضباً وقال له ما شأنك في هذه الساعة من الليل . قال « انا سفردرب ربان الفرام» فلما سمع الرجل هذا الكلام اقفل الكوة وقال قابلني من الباب وللحال وضع رداءه على كتفيهِ وقابله وقال له من فوره قد عاد نتسن وجونسن فلما سمع سفردرب هذه البشرى كرّ راجعاً وجعل ينادي رفاقه في السفينة ويبشرهم برجوعنا سالمين فاطلقت السفينة مدفعين علامة السرور واعلاناً بعودة الوفد النروجي الى بلاده سالماً انتهى

مقتطف يناير وفبراير ومارس سنة ١٨٩٧

رحلة دوق ابروزي

كثيراً ما تجشم اهل السياحة المشاق واقتحموا الاخطار وعرضوا انفسهم للموت الزؤام لاجل الوصول الى القطب الشمالي. ولهم من ذلك غرضان الواحد علمي والآخر تجاري . اما الغرض العلمي فمداره الوقوف على احوال تلك الاصقاع الجرداء التي كستها الثلوج فلم تبق فيها من انواع الحيوان غير ذوات الفراء الكثيف او الدهن الكثير حتى تجد من كسائها الطبيعي واقياً يقيها صبارّة القر. واما الغرض التجاري فاكتشاف طريق يصل بين شمالي اوربا واقاصي المشرق حتى ترسل المتاجر فيه بدلاً من ارسالها في طريق السويس او حول افريقية . والى الآن لم يبلغوا هذا الغرض ولن يبلغوه لانهم لم يجدوا بحراً خالياً من الجليد حول القطب كما ظنوا لكنهم بلغوا كل ما راموه علمياً اي انهم عرفوا اكثر الظواهر الجوية والحوادث الطبيعية التي في الاقطار القطبية

واشهر الرحلات الحديثة التي قصد بها البلوغ الى القطب الشمالي رحلة باير الذي تمكن هو ورجاله سنة ١٨٧٤ من الوصول الى الدرجة ٨٢ من العرض الشمالي اي بقي بينهم وبين القطب ثماني درجات او نحو ٤٥٠ ميلاً . وسنة ١٨٧٦ وصل ماركهام الى الدرجة ٨٣ والدقيقة ٢٥ . وسنة ١٨٩٥ وصل نانسن الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ . وقد وصل رجال دوق ابروزي هذا العام الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ٣٣ فلم يبق بينهم وبين القطب الشمالي سوى ثلاث درجات و٢٧ دقيقة اي نحو مئتي ميل . وهاك تفصيل هذه الرحلة ملخصاً مما كتبه الدكتور اولندو ملاغودي في مجلة السترانند الانكليزية

كان للسفينة ستلا بولاري (اي نجمة القطب وهي التي سار فيها دوق ابروزي) وداع حافل يوم ابحرت من مرفأ كرستيانا عاصمة بلاد نروج في الثاني من شهر يونيو سنة ١٨٩٩ قاصدةً اقاصي الشمال ، ابحرت واعلام المدينة تخفق لها ومدافعها تدوي لوداعها والجماهير الكثيرة تدعو لها بالسفر الميمون والعود القريب . وكان بين المودعين الدكتور نانسن الرحالة الشهير فوقف يزف الى الراحلين نصائح الخبير المجرّب ويقوي عزائمهم ويشجعهم على اقتحام الاهوال وكان يكلمهم كمن هو واثق بنجاح رحلتهم وعودهم سالمين غانمين

اما الخطة التي كان دوق ابروزي ينوي اتباعها فلم يكن احد يعرفها غير رجاله وقد اسرّوها لكي لا تصل الى اصحاب الصحف السيارة فيكثر اللغط فيها والايهام بها .

وكان معه عشرة من الايطاليين وعشرة من النروجيين الا ان اعتماده كان على الايطاليين ولم يأخذ النروجيين معه الا لاعتيادهم السفر في البحار الشمالية . وهو ابن دوق اوستا الذي تولى عرش اسبانيا من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥ وابن عم ملك ايطاليا الحالي. طويل القامة نحيل الجسم قليل الكلام له ولع شديد باقتحام المخاطر اذا كان من اقتحامها نفع ما ولاسيما اذا كان النفع علمياً . يلقبه اخوه بالعضو العلمي في آل ساڤوى. درس في مدرسة ليڤورنو الحربية ولما اتم دروسه طاف في البلدان يدرس اخلاق اهلها وعاداتهم واكثر من الصعود الى قمم الجبال العالية الى ان صعد الى قمة جبل مار الياس في اقاصي اميركا الشمالية بعد ان تعذر على غيره البلوغ اليها كما ذكر في الصفحة ٧٩٤ من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف

والسفينة من سفن الصيد استعملها نانسن في رحلته الاولى الى غرينلندا وقد مضى عليها سبع عشرة سنة تمخر في البحار لصيد الحيتان الشمالية فابتاعها دوق ابروزي ووكل اصلاحها الى رجل ماهر ببناء السفن فاصلحها وقوّاها على احتمال ضغط الجليد وسميت نجمة القطب . طولها ١٥٠ قدماً وعرضها ٣١ قدماً وعمقها ١٦ قدماً ومحمولها ٤٩٥ طناً وفيها سوار عالية وشراع واسع وآلة بخارية صغيرة تسير بها خمسة اميال في الساعة ولكنها لا تستعمل الا عند الحاجة الشديدة اذ لا سعة فيها للفحم الكثير . وبني على ظهرها بيت كبير يسع ١٢٠ كلباً من الكلاب التي تجر المزالق على الجليد وغرف واسعة للضباط . وقد جمع فيها دوق ابروزي كل ما يحتاج اليه من الزاد والادوات واخذ الاطعمة والحمور من ايطاليا والآلات من المانيا والثياب المشمعة من انكلترا والفراء من روسيا ورأى كل شيء بنفسه حتى اذا رآه نانسن يفعل ذلك قال هذا شأن من يفلح في امره ولا يكل اعماله الى غيره . وكان الزاد كثيراً يكفي من في السفينة اكثر من ثلاثة أعوام وهو وسائر المواد في الف وخمس مئة صندوق والصناديق صغيرة حتى يستسهل الرجل حمل الواحد منها. وهي اربعة انواع حسب المواد التي فيها تمتاز بما عليها من الخطوط فصناديق الزاد خطوطها سوداء وفي كل صندوق منها شيء من كل انواع الزاد كالخبز واللحم والخضر والاشربة حتى اذا ضاع بعضها لا يكون فيه ماليس في غيره . وقس على ذلك صناديق الثياب وصناديق الادوات وصناديق الالعاب . والغرض من الالعاب كالشطرنج والنرد ونحوهما تسلية البحارة في الشتاء حتى لا يملوا ولا يسأموا

وكان غرض نانسن في رحلته الاخيرة ان يصل الى القطب الشمالي بسفينته معتمداً

على مجرى الجليد الذي اكتشفه وحسب انه يجري بسفينتهِ من سيبيريا الى غرينلندا فتمر على القطب الشمالي . فجرى الجليد بها كما قدّر لكنه لم يمرّ بها على القطب الشمالي بل بقيت بعيدة عنهُ فاضطرّ ان يركب المزالق ويسير الى القطب على الجليد فبلغ الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ من العرض الشمالي كما تقدّم . اما دوق ابروزي فلم يعتمد على مجرى الجليد بل عزم ان يصل الى القطب في المزالق واخذ السفينة معه ليصل بها الى ابعد ارض يسهل عليهِ الوصول اليها فيتركها هناك ويرسل منها بعثات الواحدة بعد الاخرى ويبعث معها زاداً تضعه في الطريق فكل بعثة تمهّد السبيل للتي بعدها وتضع لها الزاد في طريقها الى ان تصل البعثة الاخيرة الى القطب . وتدرس كل بعثة احوال البلاد التي تصل اليها حتى يكون اختبارها مرشداً للبعثة التي تليها

وقامت نجمة القطب في الثاني عشر من شهر يونيو كما تقدم وبلغت مدينة اركنجل على سواحل روسيا في غرة يوليو ومن هناك اخذت المئة والعشرين كلباً المعدّة لهذه الرحلة وكان الغراندوق فلادمير الروسي قد جاء الى اركنجل ليودع دوق ابروزي فودعه واقلعت السفينة من هناك في ١١ يوليو فبلغت رأس فلورا في جزيرة فرنس جوزف بعد عشرة ايام ووجدت هناك كوخاً بنتهُ بعثة جكسن الرحالة وكتبت عليهِ ان كل المكاتيب التي توضع فيهِ تعود بها سفينة الصيد كابلاّ الى اوربا حينما تمر من هناك في اواسط اغسطس . فوضع الدوق في ذلك الكوخ زاداً يكفي رجالهُ ثمانية اشهر حتى اذا اضطروا ان يعودوا من ذلك الطريق وجدوا فيهِ طعاماً لهم ثم سار بسفينتهِ قاصداً دخول الخليج القطبي الانكليزي وبعد عناء شديد خرقت السفينة الجليد وسمكهُ خمسة وسبعون سنتيمتراً ووصلت الى بحر لاجليد فيهِ . والتقت هناك بسفينة الصيد كابلا وفيها «ولمن» الرحالة الاميركي وقد كسرت ساقه وفقد البعض من رفاقه . وبعث من في نجمة القطب مكاتيبهم مع الكابلا وفي جملتها كتاب من دليل اسمه بتيغاس يقول فيهِ تمرّ بنا الايام والاسابيع سراعاً والبرد معتدل فقلما يهبط الثرمومتر تحت الصفر وامس اشرقت الشمس ببهائها فعكس الجليد من اشعتها ما يبهر الابصار. وقد قويت سفينتنا على مقاومة هجمات الجليد وهي تمخر فيهِ وتشقهُ ولو كان ثخنه اربعة اقدام واذا كان ثخنه اكثر من ذلك وعجزت عن شقهِ اطلقنا لها البخار فتثب فوقه وتكسرهُ كسراً مسافة اربعين متراً او خمسين ولا يفارق الدوق مرقب السفينة وقد لا ينزل لتناول الطعام ولا يدع فرصةً للتقدم الا غنمها ونحن نسرّ بذلك لانه على قدر تقدمنا هذا العام يقل تعبنا في العام المقبل »

وظلت نجمة القطب سائرة الى ان بلغت الدرجة ٨٢ والدقيقة ٥ من العرض ولم تبلغ سفينة اخرى هذا المدى في البحر وقد جازته سفينة نفسن لكنها سارت محمولة بالجليد. ثم عادت نجمة القطب من هناك لانها لم تجد مرفأً تقيم فيهِ الى ان وصلت الى حيث الدرجة ٨١ والدقيقة ٤٧ وهناك توالت عليها الكوارث فاجتمع الجليد حولها وتكاثف وضغط عليها ضغطاً شديداً حتى كاد يسحقها ثم وقعت عليها قطعة كبيرة منه فكسرت جانبها وللحال جعل الماء يدخل من الكسر حتى حسب من فيها انها غارقة لا محالة ثم تحرّك الجليد فادارها واماثها على الجانب الآخر فنجت من الغرق ولكنها لم تعُد تسكن واضطر الدوق ورجالهُ ان يغادروها ويفقدوا كل ما اعدوهُ فيها من وسائل الراحة والدفء ويخيموا على الجليد في ذلك الزمهرير . وكان معهم خيمتان فنصبوهما وغطوهما بشراع السفينة ووضعوا بينهما موقداً يطبخون عليهِ ويستدفئون منه وكان مع كلٍّ منهم دثار من جلد الذئب الطويل الصوف فلم يقرهم البرد مع انه كان قارصاً جدّاً ولاسيما في الليلة الاولى فجلد بهِ كل شيء حتى الجزم . وبنوا للكلاب زريبة من الخشب تقيها عصف الرياح . ومضى فصل الشتاء والضباط يبحثون عن مجاري الاوقيانوس والقطب المغنطيسي والنورالقطبي وتكوّن الجليد وامتدادهِ وحرارة الهواء والبحر وسمك طبقة الارض وطبائع الحيوانات القطبية ونحو ذلك من المباحث العلمية. وداموا متمتعين بالصحة التامة الى يوم عيد الميلاد وحينئذٍ مضى الدوق وثانيه ليمتحنا المزالق فقرهما البرد وهرأ ايديهما فابيضت اولا ثم اسودت حتى ظن الطبيب ان لا بد من قطع احدى يدي الدوق ثم رأى انه يمكن الاكتفاء بقطع اصبعين من اصابعهِ فقطعهما ومن ثم انحرفت صحته ولم تعد الى حالها الاولى واضطر ان يلازم خيمته اربعة اشهر متوالية لكنه اعد بعثات المزالق في غضونها وحاول اولا ارسالها في آخر فبراير فلم تستطع الذهاب لان البرد كان شديداً جداً فقد بلغ الى ٥٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد فماتت الكلاب من شدتهِ واضطر الرجال ان يعودوا في اليوم الثاني

ثم ارسل بعثة اخرى في ١١ مارس وفيها ثلاثة عشر رجلا وثلاث عشرة مزلقة و١٠٨ كلاب فوجدت من المشاق في طريقها ما لايوصف وكانت تضطر احياناً كثيرة ان تقطع جبال الثلج بالفؤوس لكي تسير بينها . ورأى رئيسها ان الزاد الذى اخذته معها قد لايكفيها لكثرة ما كان يأكله رجالها فاعاد ثلاثة منهم في ٢١ مارس ومعهم زاد يكفيهم عشرة ايام فانقطع خبرهم من ذلك الحين ولم يسمع عنهم شيء حتى الآن .

وفي الحادي والثلاثين من مارس ارجع ستة آخرين ومعهم زاد يكفيهم خمسة وعشرين يوماً فوصلوا الى المخيم سالمين . وبقي هو وثلاثة من الايطاليين سائرين في طريقهم والجليد كثير العراقيب متراكم القطع الى أن بلغوا الدرجة ٨٥ من العرض ومن ثم صارت حقول الجليد منبسطة فسارت مزالقهم عليها سيراً حثيثاً وقلّ زادهم كثيراً فاقتصروا على اكل لحم الكلاب لكن عزائمهم لم تضعف لانهم كانوا عازمين ان يبلغوا الدرجة ٨٧ حتى يقال انهم فاقوا كل من تقدم من قصّاد القطب الشمالي

وفي الرابع والعشرين من ابريل وصلوا الى الدرجة ٨٤ والدقيقة ٣٣ من العرض والدرجة ٦٥ من الطول ورأوا هناك انه لم يبق لهم سبيل للتقدم لانهُ لم يبق معهم زاد فاضطروا ان يعودوا ادراجهم فاقتضى ذهابهم خمسة واربعين يوماً وايابهم تسعة وخمسين يوماً ولم يجدوا ارضاً في طريقهم وكان الجليد يغطي البحر كله في ذهابهم واما في ايابهم فوجدوه قد تقطع وصار جزائر طافية في البحر فصاروا يضطرون ان يثبوا من جزيرة الى اخرى او يقفوا على الجزيرة ويدفعوها حتى تسير بهم كالقارب الى ان تصل الى غيرها . وتخطوا رفاقهم في رجوعهم واوغلوا جنوباً نحو ٤٤ دقيقة ثم عادوا ادراجهم لما اكتشفوا خطأهم ووصلوا سالمين ولكن على آخر رمق لانهم اضاعوا مزالقهم كلها ولم يبق معهم من الكلاب الا سبعة

وبذل النجارون جهدهم في اصلاح السفينة فوجدوا انها لا تستطيع البقاء هناك شتاء آخر. وفي الثامن من اغسطس انفك عنها قيد الجليد فقام الدوق ورجاله وتركوا جانباً كبيراً من الزاد هناك للرجال الذين ضلوا الطريق يكفيهم سنتين اذا عثروا عليه وعادوا بالسفينة الى الخليج الانكليزي فوصلوه في يوم واحد لكنهم وجدوه مسدوداً بالجليد فبقيت السفينة تجاهد ستة عشر يوماً واشرفت على الغرق مراراً كثيرة واخيراً وصلوا الى بحر لا يغطيه الجليد وفي اليوم الاخير من اغسطس وصلوا الى رأس فلورا فوجدوا فيه رسائل البريد وقد تركتها لهم سفينة الصيد كابلا في ١٢ يوليو الماضي وفيها كتاب من الملك همبرت ملك ايطاليا . ولما اطلع الدوق عليه كان عمه قد قضى قتيلا . ووصلت السفينة الى كرستيانا وحياها الرحالة ننسن وقال مخاطباً دوق ابروزي «لقد احييتم تاريخ ماركو بولو وخريستوفورس كولمبوس واوغلتم في الشمال يا أبناء الجنوب اكثر مما اوغل ابناء الشمال» . هذا ما يفعله ابناء الملوك في اوربا لخدمة العلم والتجارة فكيف لا ترتقي بلادهم وتسود غيرها

كوك ومهارة صحفي

من رجال العصر الذين نبغوا من بين اهل الصحافة الانكليزية السر فيليب جبس Sir Philip Gibbs ومن الرجال الذين تمكنوا من غش العلماء والساسة ورجال الصحافة الدكتور كوك الذي ادعى انه ضرب في الاصقاع الشمالية حتى وصل الى القطب الشمالي وقد كشف الاول غش الثاني وفصل ذلك الآن تفصيلاً وافياً في مجلة لندن فاقتطفنا منه ما يأتي لما فيهِ من الغرابة والفكاهة عسى ان يستفيد منه مخبرو الصحف بنوع خاص قال : —

استدعاني المستر بريس محرر الاخبار في جريدة الديلي كرونكل وقال لي ان رجلاً يسمى الدكتور كوك اكتشف القطب الشمالي وينتظر ان يصل الى كوبنهاغن غداً وقد سبقك كثيرون من مخبري الجرائد اليها فانظر لعلك تستطيع ان تقابله وتكتب لنا شيئاً عنه . فتنهدت حسب عادتي وذهبت الى الصراف وتناولت منه مبلغاً كافياً من النقود وسافرت الى كوبنهاغن بطريق البحر الشمالي وجعلت اكرر اسم كوك لئلا انساه ولم اكن اعلم شيئاً عن هذا الرجل ولا عن القطب الشمالي ولا عن الذين حاولوا اكتشافه . وبلغني ان اربعين من مخبري الجرائد سبقوني فترجح لي اني اصل متأخراً وعلى كل حال لا اعلم ماذا اسأل هذا الرجل لو لقيته

وصلت الى كوبنهاغن مساء وقد اخذ مني التعب والصداع كل مأخذ وظننت ان افضل شيء يريحني حينئذ فنجان من القهوة وكنت اعرف الالمانية فناديت مركبة واخبرت سائقها بمرادي فاخذني الى قهوة صغيرة مزدحمة بالرجال والنساء ودخان التبغ مسردق فيها . فجلست الى مائدة وتناولت جريدة دنماركية واذا فيها اسم الدكتور كوك بحروف كبيرة وانا اجهل هذه اللغة وجاءني خادم القهوة حينئذ فأريته الاسم واذا هو يعرف الانكليزية فسألته هل وصل كوك الى كوبنهاغن فقال كلا وقد كان المنتظر ان يصل ظهر اليوم ولكن الضباب اخر سفينته فلا تصل الا غداً صباحاً والدنمارك كلها منتظرة قدومه . فسرى عني بعض الشيء والتفت لارى هل هناك احد من مخبري الصحف الذين اعرفهم فلم ار احداً وبعد قليل رأيت حركة في الجمع المحتشد فالتفت واذا انا بسيدة جميلة المنظر حول عنقها فرو ابيض وعلى رأسها

قبعة من الفرو ومعها سيدة اخرى ورجل طويل القامة . فدنا مني الخادم حينئذ وقال لي أرأيت هذه السيدة الحسناء هذه مدام راسموسن . فكانه ذكر لي اسم رجل صيني لانني لم اكن اعلم من هو راسموسن . ولحظ ذلك مني فاستدرك وقال امرأة كنود راسموسن الرائد المشهور الذي جاء بالكلاب للدكتور كوك لكي يسافر بها الى القطب الشمالي وهو من اعز اصدقائه

فرأيت حينئذ ان سعدي اخرني عن سائر مخبري الجرائد واوصلني الى تلك القهوة وبعث الي بذلك الخادم . فزدت جرأة ودنوت من تلك السيدة وقلت لها بكل تأدب اني آت من قبل جريدة في مدينة لندن لكي ارى الدكتور كوك واحادثه وقد علمت انه صديق حميم لحضرة زوجك فهل تدلينني اين هو الآن ؟

وكانت هذه السيدة فوق جمالها الفتان على غاية الادب والظرف ولها الملم بالفرنسوية والالمانية والانكليزية . والرجل الذي كان معها واسمه بطرس فروكن من روّاد الاصقاع القطبية وهو يحسن لغات كثيرة فسهل علينا التخاطب والتفاهم . ووافقتني السيدة على ان زوجها صديق لكوك وقالت انه كان آخر من رآه حينما سافر قاصداً ارتياد القطب الشمالي ولذلك قصدت هي ان تكون الاولى بين الذين سيستقبلونه وكان هناك رفاص على اهبة السفر لملاقاة الدكتور كوك في سفينته وكانت هي عازمة أن تذهب فيه ولكن خيم الضباب فافسد الخطة التي كانت منوية ولا يستطيع الرفاص ان يسافر قبل الصباح

فقلت لها اذا كنتم تودون السفر فعلا فلماذا لا نذهب الآن الى السينور Elsinore فنبيت فيها ونركب الرفاص عند الفجر وانا اذهب في رفقتكم اذا سمحتم

فضحكت وقالت ولكن لقد سافر آخر قطر يقوم من هنا الليلة

فقلت لها لماذا لا نذهب باتوموبيل ؟

فقالت ان سير الاتوموبيلات ممنوع ليلاً الا الى مسافة قليلة عن كوبنهاغن والسائق الذي يخالف القانون يغرّم او يحبس . فناديت خادم القهوة وقلت له عليّ باتوموبيل . وفي اقل من دقيقة رأيت السائق امامي وقبعته في يده فقلت له والخادم يترجم بيننا نحن اربعة واريد ان توصلنا الى السينور الليلة . فانفض رأسه وقال انه لا يستطيع لئلا يغرم غرامة كبيرة

فقلت له كم الغرامة ؟ وانا اقول في نفسي لو طلب مني خمسين جنيهاً لدفعتها له

حالا (من مال الديلي كرونكل حتما) ولكنهُ قال ان الاجرة والغرامة خمسة جنيهات فالتفت الى مسز راسموسن وبطرس فروكن والسيدة الاخرى ودعوتهم الى الذهاب في ضيافتي

فاغربوا في الضحك وبعد اللتيا والتي قبلوا الدعوة . واتفقنا على ان نسافر الساعة العاشرة ليلا اذ تكون السكك قد خلت من السابلة وحينئذ نستطيع ان نسير من غير ان تنار مصابيح الاتوموبيل فلا يرانا البوليس . وكانت الساعة التاسعة حينئذ فتعشينا وكان اكثر الحديث عن الدكتور كوك ثم ركبنا الاتوموبيل وانا لا اكاد اصدق ما ارى اذ امامي سيدة بديعة الجمال زوجها صديق حميم للدكتور كوك الذي لم اسمع باسمهِ الا امس والى جانبي رجل من روّاد الاصقاع القطبية

وصلنا السينور من غير مشقة مع ان البرد كان قارصاً ودخلنا فندقاً شربنا فيهِ مشروباً سخناً ورأت مسز راسموسن ربان الرفاص الذي كان عازماً ان يلاقي الدكتور كوك وطلبت ان نذهب فيهِ كلنا وبعد حديث طويل معه عادت اليّ وهي تضحك وتقول لقد ابى ان يأخذنا معه لان الرفاص مملوء من الركاب ولكنه رضي ان يأخذك انت وحدك لانك (جورنالجي) انكليزي . فاسفت جد الاسف لانني جعلتهم يتكبدون مشقة السفر ليلا على غير طائل اما هم فاظهروا الغاية القصوى من مكارم الاخلاق فانهم هم الذين اخبروا ربان الرفاص انني آت من انكلترا لهذا الغرض حتى اقنعوه لكي يأخذني معه ثم ودعوني داعين لي بالتوفيق

سرنا عند الفجر ولم يكن الا قليل حتى رأينا سفينة الدكتور كوك واسمها (هنس اجيد) ماخرة تتهادى فحاذيناها بالرفاص وصعدنا اليها واذا انا برجل بهي الطلعة ملامحه اسكتلندية يحيط بهِ اناس شعورهم مسدولة فاستنتجت انه الدكتور كوك ولم يكن معنا في الرفاص من مخبري الجرائد غير اثنين دنماركيين فتقدمت انا الى الدكتور كوك وصافحته وهنأته وعرفته بنفسي وقلت له انني مخبر جريدة انكليزية . فامسك بيدي وقال تعال وافطر معي واجلسني على المائدة الى جانبهِ وكان عليها كثيرون من الرجال والنساء بملابس غريبة واكثرهم من الرسالات الدينية . وجعلت اتفرس في وجه الدكتور كوك فرأيته شديد الانفعال يكثر من الضحك والكلام ولكنهُ يتجنب التفرس في وجه احد فراق لي منظره واحببته وحسبته بسيطاً مخلصاً . وكنت كلما سألته عن سفرتهِ لايجيبني جوابا صريحاً . ولما أكثرت

لحاجتي ولحاجة المخبرين الدنماركيين عليه ادخلنا الى غرفته وتكلم معنا ساعة وكان المام ذينك المخبرين بالانكليزية قليلا فاقتصر على الكلام معي ولم يخامرني حينئذ اقل ريب ان كل ما قاله لي كان صحيحاً ولما كنت اجهل كل شيء عن الاصقاع القطبية وارتيادها سألته مسائل كثيرة لعلي اقف على شيء من الحقائق واردت ان اكتفيه مؤونة الكتابة والتبييض فطلبت منه ان يريني يوميته فنظر اليّ نظر المستريب الغاضب وقال انهُ لم يكتب يومية وان اوراقه وضعت في يخت لرجل اسمه هوتني ليأخذها الى نيويورك

فقلت له متى يصل الى هناك ؟

فقال : في السنة المقبلة

فقلت : ولكن لا بد من ان تكون قد ابقيت معك الاوراق الجوهرية

فقال : لا اوراق معي واظهر الغيظ

فقلت : لعلك ترينني ارصادك الفلكية (وانا مسرور لان هذه الكلمة خطرت ببالي)

فقال الم اقل لك انني لم آت بشيء من اوراقي . قال ذلك بغيظ شديد اوقع في نفسي شيئاً من الريب . ثم قال لقد صدقتم ما رواه نانسن وامندسن وسفردرب فلماذا لا تصدقونني

كنت قد صدقته اما الآن فرأيت في وجههِ وكلامهِ ما رابني لانه بان لي كمن ارتكب جريمة وهو يخشى كشفها . ولكنني اردت ان اكون على بينة تامة من امره فقلت له انه لا يُعقل انهُ يأتي الى اوربا كمكتشف اكتشافاً عجز عنهُ كل الروّاد قبله وليس في يده وثيقة تثبت دعواه . ولما رأيته زاد غيظاً مني وانا لا بد لي من ان اتناول شيئاً منه ابعث به الى جريدتي تركت الالحاح عليه في هذا الموضوع وجعلت اسأله عما لقيه من المصاعب والمخاطر وعن ثقل المزالق التي كان يسير فيها على الجليد وعدد ما كان معه من الكلاب لجرها . فقص علينا اخباراً كثيرة فيها كثير من المتناقضات فكتبت اكثر ما رواه وكان يقف احياناً كمن يراجع نفسه ويلفق قصة تلفيقاً او يحاور الدفاع عن نفسهِ . فاستنتجت من ذلك على انه كاذب وانه لم يصل الى القطب الشمالي كما ادعى ومراده ان يخدع الناس ولكن لم تكن عندي بينة على ذلك

ولما وصلنا كوبنهاغن رأينا كأن المدينة كلها خرجت لاستقباله وكان المرفأ مكتظاً بالسفن من كل نوع من اليخوت الكبيرة الى الزوارق الصغيرة وارتفعت من الذين فيها اصوات الترحيب والتهليل وعزفت آلات الطرب بنشيد مطلعه « جاءنا الجبار بالفوز العظيم »

كل هذا والدكتور كوك في قمرته لم يخرج منها الى ان جاء رجل دنماركي طويل القامة اسمه نورمن هنسن وهو من الشعراء والروّاد . وقد وقف امامي فيما بعد موقف العداء لانني كذبت دعوى كوك

وخرج الدكتور كوك حينئذ من قمرته ممتقعاً . لم ار مجرماً سطرت جريمته على وجهه مثل هذا الرجل ولا سيما لما دنا منه ولي عهد الدنمارك ليحييه باسمها وينئهُ باكتشافه المجيد . وهي أول مرة رأيته فيها قد ارتبك وحصر عن الكلام

ولما نزلنا الى البر تعذر عليَّ اختراق الجمع المحتشد وكاد الدكتور كوك يختنق من تألبهم عليه وبلغني ان وليم ستد صاحب مجلة المجلات هرع اليه واعتنقه وطلب من رجال الصحافة الذين كانوا هناك ان يحيطوا به كحرس له لئلا يقضى عليه . ولما بلغت آخر الجمع لقيت أول رجل من رجال الصحافة الانكليزية وهو الفونس كورلندر وكان صديقاً لي ولما علم انني كنت مع كوك في سفينته وحادثته ساعتين نظر الي نظر المتوسل كانه يريد ان اخبره ببعض ما سمعت ولكنني تملصت منه بالتي هي احسن وركبت اول مركبة لقيتها وهربت بها وانا شاعر ان في جيبي اعظم قصة من قصص العصر

ذهبت الى فندق صغير في طرف المدينة بعيداً عن الناس وكتبت ما يملأ سبعة اعمدة من الديلي كرونكل ذكرت فيها القصة التي رواها لي كوك بتمامها وانتقدتها متهكماً عليه ومبيناً ارتيابي في صدقه . ولما سلمت مقالي لعامل التلغراف ادركت اني خطوت خطوة ستؤدي بي اما الى فوز مجيد واما الى قضاء مبرم

لما كنت اكتب مقالي هذا كان امام الدكتور كوك اربعون من رجال الصحافة وكبيرهم المستر ستد يلقي عليه المسائل وهو يجيب عنها . وما منهم الا راجعه بكلمة او ابدى اقل ارتياب في دعواه واخيراً وقف ستد نائباً عنهم وهنأه باكتشافه القطب الشمالي معجباً بهمته وصائغاً له قلائد المدح

ولحسن الاتفاق كنت انا الوحيد الذي ارتاب في هذه الدعوى وبين مواقع

الريب فيها . وكنت واثقاً بصحة ما استنتجته ولكن هل استطيع ان اؤيد استنتاجي بادلة قاطعة تقنع الجمهور . هذا الامر شغل بالي فبت شديد القلق وعلمت في اليوم التالي ان رسالتي نشرت كلها لان التلغرافات اتت بفقرات منها نشرتها جرائد الدنمارك فقام لها الناس وقعدوا . ووالیت الكتابة في هذا الموضوع وانا اجيء بالحجة تلو الحجة تأييداً لرأيي . فجعل الناس يتظاهرون بعدائي ونشرت جرائد الدنمارك صورة هزلية لي على اقبح ما يكون ولقبتني « بجيس الكذاب » لكنها اعتذرت عن ذلك فيما بعد . ولا داعي لتفصيل كل الادلة التي اقمتها على كوك والاشراك التي نصبتها حول قدميه . فقد ادعى انه اخبر سفردرب الرائد الدنماركي المشهور بتفاصيل رحلته الى انهُ اكتشف القطب الشمالي وان سفردرب جاهر بأن هذه التفاصيل صحيحة وهي تدل على ان كوك وصل الى القطب حقيقة . فذهبت الى سفردرب وسألته عن صحة ما نسبه كوك اليه فقال لي ان كوكاً لم يذكر له دليلاً واحداً عن صحة دعواه

وادعى كوك انه كتب رحلته وارصاده الفلكية واعطاها لجامعة كوبنهاغن . وادعت الجرائد الدنماركية ان علماء الفلك وعلماء الجغرافية في تلك الجامعة فحصوها فوجدوها صحيحة واقتنعوا ان كوك وصل الى القطب الشمالي فعلاً . فقابلت رئيس الجامعة فقال لي ان كوك لم يعط الجامعة شيئاً مكتتباً ولم يقدم لها دليلاً واحداً على صحة دعواه

وعرضت ما كتبته من كلام كوك على فروكن وغيره من روّاد الاصقاع الشمالية من حيث المسافات وثقل المزالق ومقدار الزاد الذي كانت الكلاب تجره فاكدوا لي ان كل ما قاله لي ضرب من المحال . ثم عارضت اقواله لي باقواله لسائر مخبري الجرائد وبينت ما فيها من المتناقضات . وكنت اشتغل بذلك نهاراً وليلاً عن طيبة نفس لاعتقادي ان الحق في جانبي ولكن اعترضتني امور كادت تخور منها عزيمتي فقد نشرت الجرائد كلها ان رئيس جامعة كوبنهاغن انكر انه حادثني في هذا الموضوع او انه مرتاب في ادلة كوك . فبعثت الديلي كرونكل الي تلغرافاً تطلب ايضاح ذلك . وكان مكاتب الديلي كرونكل في كوبنهاغن قد جاءني بجرائدها وفيها هذا الانكار المنسوب الى رئيس الجامعة . فوقع ذلك علي كصاعقة من السماء . وجاءني المستر ستد حينئذ ووضع يده على كتفي وكان لا يزال من المعجبين بكوك وقال لي « لقد قضيت على نفسك ايها الشاب وذلك ليس بكبير الاهمية ولكنك قضيت

ايضاً على الديلي كرونكل ولها عندي مقام رفيع » وكان قد قرأ ما كتبته جرائد الدمارك . فقلت له : اني شاب ولا شأن لي اذا قوبلت بك وانا الآن لاجيء الى شهامتك لكي تذهب معي الى رئيس الجامعة ومرادي ان اطرح عليه بعض المسائل فتكون شاهداً على ما يقول

فقال : لبيك لبيك ونأخذ معنا شاهدين آخرين واحداً من العدول وآخر من الذين نشروا الانكار . الاول الكونت دسدن الفرنسوي مكاتب جريدة من امهات الجرائد الفرنسوية والثاني وكيل شركة من الشركات التلغرافية وهو الذي اذاع انكار رئيس الجامعة

فذهبنا كلنا وقابلنا رئيس الجامعة فلم يشأ اولا ان يفوه بكلمة في مسألة كوك لا سلباً ولا ايجاباً لكن المستر ستد قال له ان المسألة هامة جداً وعليها تتوقف نجاة هذا الشاب من العار والدمار . وحاول ممثل شركة التلغرافات ان يحول بين الرئيس والمستر ستد ويمنعه من انكار ما نسب اليه وجعل يتكلم بالالمانية بسرعة حتى يتعذر علي فهم كثير من كلامه . ولكن الكونت الفرنسوي نصرني عليه وامره ان يتكلم بالانكليزية او بالفرنسوية حتى نفهم كلنا ما يقول وايده المستر ستد في ذلك . وكررت على الرئيس المسائل التي سألته اياها في مقابلتي الاولى له وكتبتها على ورقة وتلوتها عليه وهي هل عرض كوك على الجامعة صورة مكتبة من اسفاره ؟ وهل قدم لها شيئاً من ارصاده الفلكية ؟ وهل قدم لها دليلا على انهُ بلغ القطب ؟

فتلكأ الرئيس طويلاً ثم اجاب بالنفي عن كل مسألة من هذه المسائل الثلاث ولكنهُ كان مضطرباً . ثم علمت ان الجامعة ورئيسها الاعظم وهو الملك كانا قد شاركا كوك في دعواه بمنحه رتبة شرف اعترافاً بوصوله الى القطب . فصار مركز هذا الرئيس حرجاً جداً بل شديد الخطر عليه . فلما لفظ كلمة « لا » الاخيرة تنفست الصعداء وطلبت منهُ ان يوقع على المسائل وعلى ما اجاب به . فابى ذلك أولاً وبعد الالحاح وقعها لكنهُ استدرك قائلاً ان هذا ليس للنشر . فقلت اذاً لا فائدة من توقيعك وايدني المستر ستد والكونت فسلم بالنشر وللحال ودعتهُ وعدوت وانا اخاف ان يقبض احد عليّ ليأخذ الورقة مني . ونشرت المسائل واجوبتها في الديلي كرونكل وفي مئات من الجرائد

لكن المصائب لا تأتي فرادى فقد كنت اتناول الغداء ذات يوم مع مسز راسموسن

وبطرس فروكن المذكورين آنفاً فأرتني مسز راسموسن كتاباً اتاها من زوجها وكان صديقاً حميماً لكوك كما تقدم وقالت لي ان هذا الكتاب يهمك اكثر مما يهم اي انسان كان فاقرأهُ فقلت لها اني آسف جداً لاني اجهل اللغة الدنمركية فاشارت الى فقرة فيهِ وقالت لي اني اسمح لك بنسخ هذه الفقرة . فقطعت ورقة من دفتري واعطيتها لبطرس فروكن فنسخها وترجمها لي اسكار هنسن الى الانكليزية وكتب الترجمة تحت الاصل . وفيها ان كنود راسموسن زوجها يقول انهُ « ثبت لهُ الآن ان كوك غشاش كذاب » . كلام مثل هذا من رجل شريف شهير مثل راسموسن لهُ اعظم شأن في نظري وفي نظر كل احد فاستأذنت مسز راسموسن في نشر هذه الفقرة في رسالة ابعث بها الى جريدتي . فاذنت لي ونقلتها عنها جرائد الدنمارك فتحدث بها كل احد . وفي مساء اليوم التالي لقيني صحفي دنماركي واراني جريدة وقال لي ارأيت هذا . واذا فيها انكار صريح من مسز راسموسن انها ارتني كتاباً من زوجها او ان زوجها كتب اليها شيئاً من ذلك . فوقفت حائراً في امري لا اصدق ما ارى بعيني ثم جعلت افتش عن بطرس فروكن ومسز راسموسن فلم اعثر عليهما وتعذرت عليّ رؤية مسز راسموسن بعد ذلك لانها أمرت بمغادرة كوبنهاغن . فعدت الى غرفتي وجعلت افتش عن الورقة التي كتب عليها بطرس فروكن الاصل الدنماركي والترجمة الانكليزية فلم اجدها بين اوراقي واخيراً وجدتها تحت سريري وكأني وجدت اثمن كنز

ثم ان اسكار هنسن شهد شهادة رسمية بعد ان اقسم اليمين انهُ رأى الاصل الدنماركي وترجمهُ الى الانكليزية كما نشرتهُ انا وحلف وكيل شركة التلغرافات ان الخط خط بطرس فروكن . وكتبت انا ادعو مسز راسموسن لتعرض كتاب زوجها على لجنة من ستة أشخاص تختار هي ثلاثة منهم واختار انا ثلاثة فاذا قالت اللجنة ان الفقرة لا وجود لها في الكتاب فانا ادفع مبلغ كذا (وعينت مبلغاً كبيراً) لفقراء الدانمارك فلم تلبي طلبي وصدق الناس قولي ولم يعبأوا بقولها

وبقي المستر ستد مصدقاً دعوى كوك الى ان نزعت جامعة كوبنهاغن الرتبة التي منحتها اياه فكتب ستد اليّ حينئذٍ يقول انت الرابح وانا الخاسر . ويلي ذلك كلام يدل على كرم اخلاقهِ ولا شبهة ان هذه الحادثة من اغرب الحوادث وقد خدمني السعد فيها اعظم خدمة

الكومندر بيري

مكتشف القطب الشمالي

وُلد في بلدة كرسون بولاية پنسلفانيا من اعمال الولايات المتحدة الاميركية يوم ٦ مايو سنة ١٨٥٦ وتخرج في كلية بوْدوين سنة ١٨٧٧ . ثم تلقى العلوم الهندسية فنال شهادة مهندس سنة ١٨٨١ وانتظم في سلك البحرية الاميركية برتبة ملازم . وعين سنة ١٨٨٤ معاوناً للمهندس الذي عُهد اليهِ في مسح بحيرة نيكارغوا باميركا الوسطى ثم خلفهُ اصيلاً في هذا المنصب سنتي ١٨٨٧ و١٨٨٨

على ان دافع المغامرة والاقدام وحب الاكتشاف الذي يدفع كبار الروّاد الى تجشم المخاطر والمشاق في سبيل رحلة يقومون بها في مجهل من مجاهل الارض كان يدفع الملازم پيري الى جلائل الاعمال . فاستأذن وزارة البحرية سنة ١٨٨٦ في ان يقضي اجازتهُ السنوية في رحلة الى خليج بلسكو في جزيرة جرينلند (الارض الخضراء) فاذنت لهُ في ذلك وكان من اثر هذه الرحلة في نفسهِ ما حملهُ فيما بعد على ان يرحل رحلات عديدة الى الاصقاع المتجمدة الشمالية حتى بلغ القطب سنة ١٩٠٩ فتتوجت بذلك اعمالهُ بتاج من الفخار لانهُ كان اول من بلغ القطب الشمالي في التاريخ على ما يعلم

وفي سنة ١٨٩١ أعدّت معدّات رحلة الى الاصقاع الشمالية تشرف عليها اكادمية العلوم الطبيعية بفلادلفيا وجعل پيري زعيمها فرافقتهُ زوجتهُ فيها فكانت بذلك الامرأة الاولى من الجنس الابيض التي رافقت بعثة من البعثات التي رادت الاصقاع المتجمدة الشمالية

قضت هذه البعثة الشتاء في خليج انجلفيد في الشمال الغربي من جزيرة الارض الخضراء وفي اوائل الربيع اصطحب پيري شابًّا نرويجيًّا يدعى استريب فاجتازا الجزيرة من شمالها الغربي الى شمالها الشرقي ذهاباً واياباً فثبت لهما ثبوتاً ينفي كل ريب. ان جرينلند جزيرة . وفي اثناء ذلك بحث رجال البعثة المتخلفون في خليج انجلفيلد مباحث علمية دقيقة تتعلق بقبيلة من قبائل الاسكيمو وهي اقرب القبائل الى القطب الشمالي

وفي سنة ١٨٩٣ اعدّ پيري رحلة اخرى رافقتهُ فيها زوجتهُ التي ولدت فتاة في مشتى البعثة بخليج انجلفيلد وفي سنة ١٨٩٤ رحل رحلة صيفية قصيرة الى خليج ملفيل فكشف ثلاث نيازك كان الاسكيمو يصنعون من قطعها آلاتهم وادواتهم الحديدية . وسنة ١٨٩٨ نشر كتاباً عنوانهُ « الى الشمال على الجليد » ذكر فيهِ اكثر ما عرفهُ في رحلاتهِ السابقة لتاريخ نشر الكتاب . وكان المستر لارين جب ونادي پيري القطبي يمدانهِ بالاموال اللازمة لرحلاتهِ المختلفة

وتلا ذلك رحلتان اثبت في اولاهما حدود جزيرة جرينلند الشمالية وان وراء هذه الحدود محيطاً زاخراً حول القطب . وفي الثانية بلغ الدرجة ٨٤ والدقيقة ١٧ والثانية ٢٧ من العرض الشمالي وهو ابعدُ ما وصل اليهِ المكتشفون شمالاً . ولدى عودته من هذه الرحلة انتخب رئيساً للجمعية الجغرافية الاميركية ورقي الى رتبة كومندر في البحرية الاميركية . وفي سنة ١٩٠٣ ذهب الى انكلترا في بعثة بحرية فاهدت اليهِ الجمعية الجغرافية الاسكتلندية وسام لفنستون الذهبي

وبعد رجوعهِ من انكلترا اخذ يعد المعدات لرحلة قطبية جديدة وبنيت لذلك سفينة خاصة اطلق عليها اسم « روزفلت » وهو رئيس الولايات المتحدة حينئذ فاقلع من نيويورك في ١٦ يناير سنة ١٩٠٥ ومعهُ مؤونة تكفي لرجال البعثة سنتين . وقضى الشتاء على الشاطئ الشمالي من جزيرة الزمير وهي الى الغرب من جزيرة جرينلند وفي ٢١ فبراير استقل هو ورجالهُ المزالج قاصدين القطب فاعاق سيرهم وجود شقوق كبيرة في الجليد بين الدرجتين ٨٤ و٨٥ من العرض الشمالي . ولما تقدموا قليلاً الى الشمال ثارت في وجههم عاصفة شديدة فتشقق الجليد وتهدمت المخازن التي كانوا قد اقاموها في الطريق لحفظ المؤونة وانقطعت عليهم سبل العودة الى حين وشعروا ان الجليد الذي يسيرون عليهِ يتجه بهم شرقاً . ولكن في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٦ بلغوا الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ من العرض الشمالي وهو اقصى ما بلغهُ انسان شمالاً . وكان السفر قد انهكهم فحاولوا العودة صابرين على كثير من المكاره والمشاق فوصلوا الى شواطئ جرينلند الشمالية ومن هناك اتصلوا بسفينتهم . وبعد راحة اسبوع سافر پيري بالمزالج في البلاد الواقعة على الشاطئ الشمالي من جزيرة الزمير وتعرف ببلاد غرانت (غرانتلاند) ثم عادت البعثة الى اميركا فوصلت الى بلدة حيرون بلبرادور

في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠٦ بعدما اشرفت سفينتهم على التحطم والغرق وسنة ١٩٠٧ نشر پيري اخبار هذه الرحلة في كتاب دعاهُ « على مقربة من القطب »

وفي سنة ١٩٠٨ رحل پيري على السفينة « روزڤلت » الرحلة التي توجت اعماله بتاج الفخار الخالد الذي يجزى به اهل العزيمة والاقدام فاقلع من بلاد ايتاه بلبرادور في ١٨ اغسطس سنة ١٩٠٨ فقضى الشتاء في « غرانتلاند » واتجه شمالاً في مارس سنة ١٩٠٩ . وكان معهُ ستة رجال قسمت فرقاً تسير كل فريق منها على حدة تتقدم الفرقة الاخرى ثم تتبعها هذه . ولما اخذت المؤن تقل جعل يعيد رجالهُ على اعقابهم واحداً واحداً خوفاً من ان يموتوا جوعاً ولما بلغ الدرجة ٨٧ والدقيقة ٤٨ من العرض الشمالي كان معه الكبتن بارتلت وهذا عاد على اعقابهِ لما وصلوا الى هذه الدرجة من العرض . فسار پيري يصحبهُ خادمهُ الاسود واربعة من رجال الاسكيمو لا تثنيهم المصاعب والمشاق حتى بلغوا القطب في ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ . فلبثوا هناك نحو ثلاثين ساعة رصدوا بعض الارصاد ودوّنوا بعض الملاحظات وسبروا غور البحر على بضعة اميال من القطب . وعادوا سالمين لم يصب احد منهم بمكروه الا احد رجال الاسكيمو الذي غرق

عصر الطيارة والبلون

obeikandl.com

رحلة امندسن الاولى بالطيارة

الى القطب الشمالي

تحيط باسماء الروّاد الذين يرودون مجاهل الارض ، ويضربون في اصقاعها غير المأهولة ، هالة من المجد لا يفوز بها كثيرون من العلماء الذين قد يكونون اكبر من الروّاد شأناً وارفع مقاماً في نظر العلم . على ان الصبر الذي يظهره الروّاد في مغالبة المصاعب والشجاعة التي يعرضون اليها نفوسهم الى اقتحام المخاطر والاهوال ، تضرب على وتر حسّاس في النفس فينظر اليهم الناس نظرة الاكبار والاعجاب ويجعلونهم في مصاف الابطال . لذلك قلق الناس حين انقضت مدة طويلة ولم يرجع امندسن وصحبهُ من رحلتهم الهوائية الى القطب الشمالي ثم تهللوا حين وردت الانباء انهم سالمون وما وصلوا الى اوسلو عاصمة نروج حتى خرج سكان المدينة يهتفون ويهزجون لرجوع بطلهم ورفاقهِ واهدى اليه ملك نروج وساماً ذهبيًّا لم ينلهُ من الاحياء سوى اثنين واهدى الى رفاقه وسام القديس اولاف وهو من اوسمة الشرف والفخار عندهم

وكان رجال الرحلة ستة احدهم اميركي وهو المستر لنكن الزورث Ellsworth الذي قام بنفقات الرحلة (وقد مات والده في ٣ يونيو الماضي) وخمسة من النروجيين هم الكبتن روالد امندسن Roald Amundsen والملازم بالمان ريزر لارسن Rüser Larsen والمستر كارل فوخت Feucht والملازم ليف ديترخسن Dietrichson والملازم اوسكار امدال Omdal الذي رافق امندسن حين حاول ان يطير الى القطب الشمالي من الاسكا سنة ١٩٢٣

وكان معهم طيارتان من نوع الطيارات المائية ماركة دورنيه في كل منهما آلتان من ماركة رولز رويس الشهيرة . وقد اطلعنا في جريدة التيمس الاسبوعية على وصف مسهب لهذه الرحلة بقلم امندسن نفسه فاقتطفنا منها ما يأتي قال :

انتظرنا اليوم الحادي والعشرين من شهر مايو بفارغ صبر لانه كان اليوم الذي ضربناه للبدء في ارتياد مجاهل الاصقاع المتجمدة الشمالية بالطيارات

تناولنا طعام الغداء كالعادة ثم اعددنا احمال الطيارتين وجهزنا امتعتنا فكتب كلٌّ منا اسمه وعنوانه على صندوقه حتى ترسل الامتعة الى نروج اذا لم نرجع

واجتمع كثيرون من رفاقنا ومن سكان نيوايلزند حول الطيارتين ليحيونا تحيات

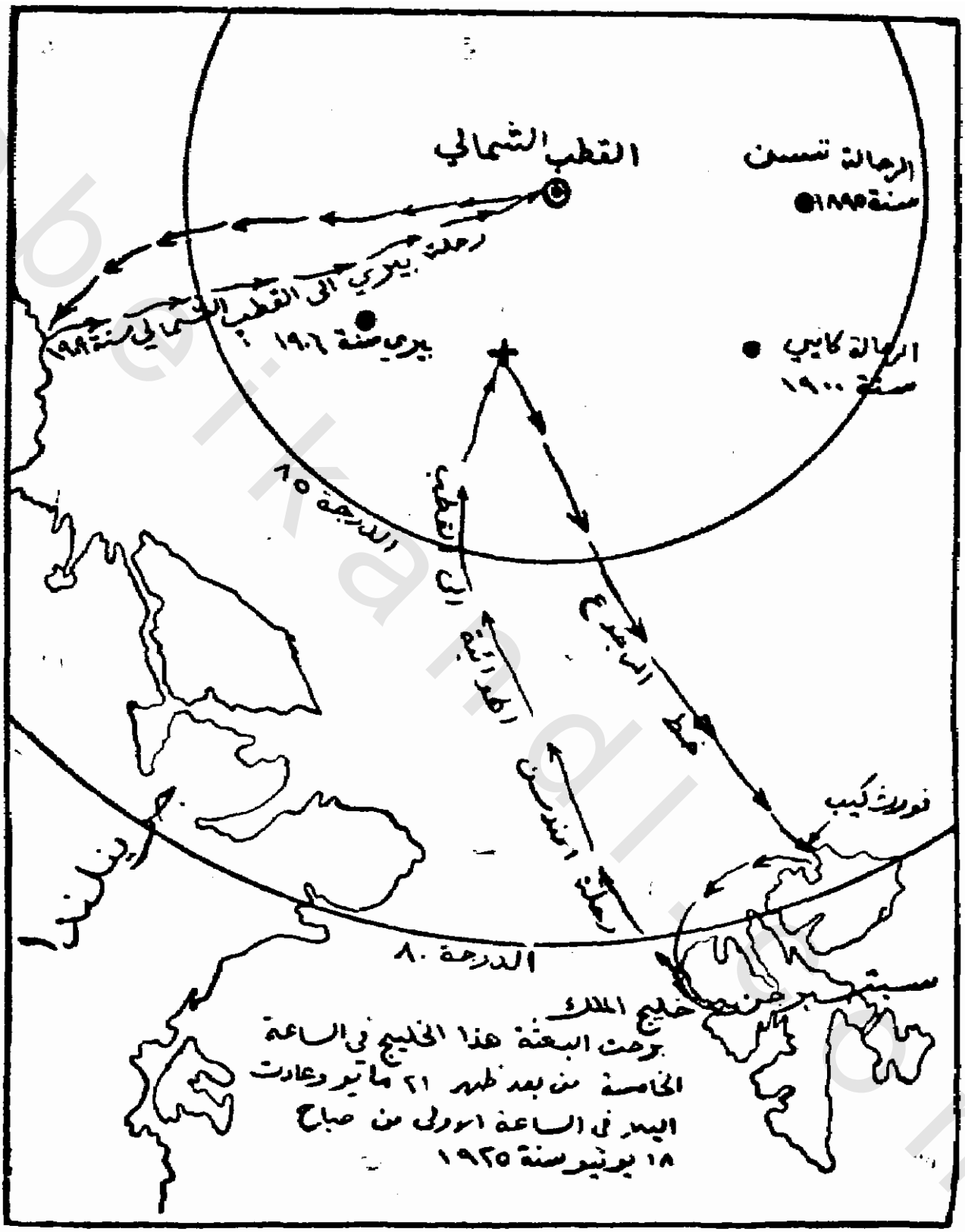

خريطة رحلة امندسن الهوائية الى القطب الشمالي

الوداع فادار ريزر لارسن وديترخسن آلات الطيارتين في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة مساء وتركوها تدور ثلاثة ارباع الساعة حتى تسخن ثم صعدنا في الهواء في بدء الساعة الخامسة وكل من الطيارتين تحمل نحو ثلاثة اطنان

وما سرنا طويلا حتى لقينا ضباباً كثيفاً يمتد الى ابعد ما يصل اليه البصر فاقتربت الطيارتان احداهما من الاخرى وارتفعتا اولا الى علو ١٨٠٠ قدم ثم الى علو ٣٠٠٠ قدم ومضينا في سيرنا فوق الضباب . كانت الحرارة حينئذ على عشر درجات تحت الصفر بميزان سنتغراد والضباب كغشاء كثيف يحجب عنا وجه الارض على اننا كنا نرى فروجاً صغيرة فيه بين آونة واخرى فكنت انظر من خلالها الى الارض فأرى جليداً حديث التجمد يختلف عن انهر الجليد القديم التي على شاطىء غرينلندا الشرقي

طرنا فوق الضباب نحو ساعتين فوصلنا في نهايتهما الى منطقة صافية الاديم تشرق عليها الشمس فتنعكس اشعتها عن سطح الثلوج ناصعة البياض فيرتد الطرف عنها كليلا . وارجح اننا كنا حينئذ على الدرجة ٨٣ من العرض الشمالي وبصرنا يمتد فوق دائرة قطرها نحو ١٢٠ ميلا

ثم هبت علينا ريح شمالية شرقية فخفضنا سرعتنا وهبطنا قليلاً لعل الريح تكون الطف هبوباً قرب سطح الارض ، وبقينا على ارتفاع يتراوح بين الف قدم والف وخمسمائة قدم لكي نتمكن من البحث عن مكان يصلح لنزول الطيارات اذا حدث ما يوقفنا عن الطيران او ما يضطرنا الى النزول لكننا لم نر بقعة واحدة بين جدران الجليد المتجمد على جانب كاف من الاتساع لنزول الطيارتين . وكان في الفروج بين هذه الجدران الجليدية نواتىء من الثلج المتجمد تجعل نزول الطيارة متعذراً . فادركنا ان ما املناه من وجود مساحات فسيحة لنزول الطيارات كان برقاً خلباً وللحال عرفنا ان الرحلة صارت محفوفة بالخطر اذا عجزت الطيارات عن الطيران . لكن ثقتنا بآلات رولزر رويس كانت كبيرة فلم يتطرق الخوف الى نفوسنا

وسرنا على هذا النمط بضع ساعات من غير ان نقف على اثر لليابسة . ودلت ارصادنا في الساعة العاشرة اننا كنا طائرين في اتجاه غربي ورجحنا ان سبب ذلك ريح شمالية شرقية لذلك غيرنا اتجاهنا وسرنا شرقاً من غير ان نرى مكاناً صالحاً لنزول الطيارات . وكنا من آن الى آخر نمر فوق ممر جليدي بين ركام الجليد اقصر من ان يكون كافياً لنزول الطيارتين

وفي الساعة الاولى من صباح ٢٢ مايو اخبرنا فوخت الميكانيكي في الطيارة التي كنتُ رائدها ، اننا حرقنا نصف ما كان معنا من البنزين فقررنا ان نحط على الجليد لنحقق مركزنا الذي لم نتمكن من تحقيقه بالضبط ونحن محلقون في الهواء . فهبطنا الى علو ٣٠٠ قدم فوق سطح الارض او فوق سطح البحر لاننا لم نعثر على يابسة هناك . وكان تحتنا بقعة من الجليد حسبتها اصلح من غيرها لنزول الطيارتين فطرنا فوقها على ارتفاع ٣٠ قدماً وفيما كان السائق يدير الطيارة ليقطعها عرضاً ظهر عطل في احدى الآلتين التي تطير بقوتهما الطيارة . وكان حملها اكبر من ان تقوى آلة واحدة على رفعها به فاوقف السائق الآلتين وخفض السرعة فنزلنا اضطراراً فوق الماء معرضين الطيارة للكسر على نواتئ الجليد لان جانحيها كانا يلمسان جداري الجليد على جانبي الممر الضيق

وقفنا في آخر الممر على ضيقه مرغمين ومقدم الطيارة يكاد يغرز في ركام الجليد الذي يسده ، لكنها لم تصب بعطل ما . وبعدما وقفنا حاولنا ان ندير الطيارة لنخرجها الى مكان قريب اكثر اتساعاً فكابدنا في سبيل ذلك مصاعب جمة واذ كنا على وشك الفوز بمرامنا اطبق الجليد على جوانب الطيارة وغدت كانها علقت في شرك

ورآنا ديترخسن سائق الطيارة الثانية فحسب نزولنا في تلك البقعة ضرباً من الجنون لانهُ لم يعلم سبب نزولنا الحقيقي فلكي لا ينفصل عنا نزل هو ايضاً بطيارته على الجانب الآخر من الممر الذي نزلنا فيه وكان اكثر اتساعاً

كانت جدران الجليد تحجب عنا الطيارة الثانية فلم ندر — اين حطت ولا اين استقر ركابها وكانت طيارتنا مستهدفة لان تحطم اذ زاد ضغط الجليد عليها

عرفنا من ارصاد اجريناها في الليل اننا على الدرجة ٨٧ والدقيقة ٤٣ والثانية ٢ من العرض الشمالي وعلى الدرجة ١٠ والدقيقة ١٩ والثانية ٥ من الطول الغربي وكنا قد وصلنا الى ابعد من ذلك شمالا حين كنا نبحث عن ساحة لنزولنا . فنكون قد قطعنا في ثماني ساعات اي من الساعة الخامسة مساء الى الساعة الاولى صباحاً ١٠٠٠ كيلو متر (نحو ٦٢١ ميلاً) بمتوسط ١٢٥ كيلو متراً في الساعة واقتربنا حتى صرنا على ١٣٦ ميلا جغرافياً من القطب ولولا الريح التي حرفتنا عن السير المستقيم لاقتربنا ٢٠٠ كيلو متر اخرى من القطب

وسبرنا غور البحر هناك فوجدنا عمقهُ ٣٧٥٠ متراً . ودرسنا في الايام التالية الظواهر الجوية وحركة الجليد ومغناطيسية الارض وكنا في طيراننا الى الشمال قد

لاحظنا بقعة مساحتها نحو ١٠٠ الف كيلو متر تمتد الى الدرجة ٨٨ والدقيقة ٣٠ من العرض الشمالي . فاتضح لنا من سبر غور الماء هناك انهُ لا يحتمل وجود يابسة قرب القطب في هذه الجهة من الاوقيانوس المتجمد الشمالي النروجي

ثم نظرنا في امر طيراننا الى القطب فاجمعنا على انه لايحتمل وجود مكان لنزول الطيارات اصلح من المكان الذي نزلنا فيهِ ولذلك فالنزول قرب القطب قد يكون محفوفاً بالخطر وحينئذ يتعذر القيام بارصاد ومباحث علمية . اضف الى ذلك اننا لم نر فائدة من مجرد الطيران فوق القطب تعادل الخطر الذي نتعرض له

واتفقنا ان نضع خطة الرجوع بدلاً من متابعة الطيران الى القطب لكن طيارتنا لصقت بالجليد في الليل فحاولنا ان نخلصها من الثلج المطبق عليها فذهبت اتعابنا ادراج الرياح . وبعد ما استرحنا ساعتين عزمنا ان نعود الى رأس كولومبيا على الاقدام وكنا قد اعددنا عدتنا لذلك لاننا حسبنا حساب عطل يصيب الطيارة فنعجز عن الرجوع بها

ثم حاولنا ان نبحث عن رفاقنا على غير جدوى لان جداراً عالياً من الجليد كان يحول بيننا وبينهم فلم نرهم . ولكن خيل الينا اننا سمعنا طلقاً نارياً على مقربة منا وقد صدق ظننا بعدئذ اذ قالوا لنا حينما التقينا انهم اطلقوا النار ليعرفونا بوجودهم هناك

وحولنا جهدنا ثانية لاخراج الطيارة من شركها الجليدي لكننا ما كنا نفتح ثغرة في الجليد حتى تمتلىء ثانية وتتجمد باسرع مما نفتحها وكان البرد في الليل قد هبط الى ١٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

وكان الهواء بعد الظهر صافياً فادرنا طرفنا في الجو الفسيح فرأينا رايتنا تخفق فوق ركام عالٍ من الجليد ، رفعها عليهِ رفاقنا لكي يعلمونا عن مكان وجودهم فرفعنا رايتنا اجابةً لهم

ومن ثم صرنا نستخدم الاشارات في المخاطبة فاخبرناهم عن حالتنا واخبرونا عن حالتهم وانهم يحاولون ابقاء طيارتهم مستعدة للطيران لتضاعف اسباب النجاة من هذا المأزق الحرج وكان الجليد يتحرك فاقتربت محطتنا من محطتهم وفي ٢٥ مايو رأينا فقمة ملتحية ولكن تعذرت علينا مطاردتها انما سررنا جداً برؤية احياء في تلك الاصقاع المتجمدة وكان المظنون ان لا احياء وراء الدرجة ٨٥ من العرض الشمالي

وفي اليوم التالي عرفنا ان رفاقنا يستعدون للقدوم الينا لانهم فشلوا في كل محاولة حاولوها لتخليص طيارتهم ورأيناهم يقطعون طريقاً لهم في الجليد لكي لا يدوروا دورة

تستغرق ٢٤ ساعة قبل وصولهم الينا . فذهبت مع ريزر لارسن لملاقاتهم ومعنا مركب صغير لنقلهم فوق بقعة ماء خالية من الجليد

واذا بصراخ رنّ في آذاننا . صراخ ديترخسن وامدال يطلبان النجدة وقد علمنا بعدئذ انهما كانا يمشيان على الجليد وكل منهما يحمل حملاً ثقيلاً على ظهره فهبطا في مجرى من مجاري الجليد فهبّ إلزورث للحال لنجدتهما فانقذ ديترخسن اولاً ثم تعاونا على انقاذ امدال ولو تأخرا دقيقة عنهُ لكان افلت من ايديهما ولقي حتفهُ

ولم نستطع ان نمد يد المعونة لرفاقنا لان بقعة الماء بيننا كانت مغطاة بطبقة رقيقة من الجليد وكان يتحتم تحطيمها قبل استخدام الزورق . وان قلمي ليعجز عن وصف فرحنا حينما رأينا رءوسهم ظهرت وراء جدار الجليد بعد ان رنت في اذاننا اصوات اليأس وطلب النجاة

ومن ثم تعاونا جميعاً على فتح طريق لاخراج طيارتنا من الجليد فبقينا حتى الرابع عشر من يونيو نكابد من المشاق والمصاعب ما لا تقاس بهِ المشاق التي كابدتها في رحلتي الى القطب الجنوبي. لان حركة الجليد في هذه الاصقاع الشمالية لا تجري على خطة واحدة يمكن الاعتماد عليها . اخيراً وفقنا الى اخراج الطيارة من انياب الجليد الذي كاد يمزقها ، من غير ان تصاب بخلل او عطل ما ، وجررناها الى بقعة تستطيع الجري عليها مقدمة لطيرانها وكنا قد مهدناها بقوة سواعدنا وطولها ١٨٠٠ قدم وعرضها ٣٦ قدماً

وفي ١٤ يونيو ظهرت ثغور وشقوق في الجليد هددتنا بتعطيل جانب كبير من الجهد الذي كابدناهُ في تمهيد هذه الساحة للطيارة لكي تجري فيها قبل الطيران فخففنا احمال الطيارة للحال وفي صباح ١٥ يونيو جربنا ان نطير بها فافلحنا وكان ريزر لارسن يسوقها فطرنا جنوباً بعد ان تركنا الطيارة الاخرى مدفونة في الجليد وقد عجز رفاقنا عن اخراجها منهُ وحدهم وتركنا وراءنا من المعدات ما قيمتهُ نحو الف جنيه . وكانت ثقتنا بالآلات كبيرة فحسبنا نفوسنا قد خرجنا من منطقة الخطر حالما حلقت الطيارة في الهواء

ثم هبت علينا ريح جنوبية شرقية وانتشر الضباب امامنا فاضطررنا ان نطير على ارتفاع ٣٠٠ قدم اولاً ثم ارتفعنا فوق الضباب مسترشدين بالبوصلة الشمسية . وكان ديترخسن يلاحظ حركات الجليد كلما تسنى لهُ ذلك . كنا حينئذ على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم ولم تمض علينا مدة طويلة حتى خرجنا من منطقة الضباب وآلتا الطيارة في حالة جيدة جداً . وكنا قد حددنا ما يسمح للواحد منا اكلهُ لما كنا على الجليد ولا بارقة

امل بالفرج، اما الآن وقد فتحت امامنا ابواب النجاة فصرنا نأكل من غير حساب . وكان امدال يراقب مقدار البنزين الذي معنا ويخبر ريزر لارسن بذلك فيقتصد جهده

وبعد ما قطعنا الدرجة ٨١ والدقيقة ٣٣ من العرض الشمالي لقينا الضباب ثانية . وكنا قد اقتربنا من اليابسة فلم نستطع ان نلحق فوقهُ لئلا نضطر الى النزول فجأة اذ قد نفد البنزين الذي معنا . وزادت كثافة الضباب فطرنا على علو يتراوح ما بين ١٥ قدماً و٣٠ قدماً فوق سطح البحر . واذا بجبال سبتسبرجن تظهر عند الافق فطرنا باقصى سرعة الطيارة وسددنا مقدمنا نحو نورث كيب في جزيرة نورث ايست لند لنصل اليهِ باسرع ما يستطاع وكان ريزر لارسن قد لاحظ ان الاجنحة الصغيرة وعملها يشبه عمل الدفة قد صارت صعبة الحركة وجرب امدال وفوخت ان يعرفا موضع الخلل ليصلحاه فلم يستطيعا ذلك ونحن في الجو . وكان النزول فوق امواج البحر الهائجة محفوفاً بالاخطار لذلك طرنا بالطيارة ما بقي الطيران مستطاعاً . اخيراً وقفت الاجنحة الصغيرة فجرب ريزر لارسن ان يعتاض منها بالدفتين المستطيلتين فلم يجد ذلك نفعاً فاضطررنا ان ننزل على متن الامواج فامتطيناها نصف ساعة حتى وصلنا الى اليابسة التي على الجانب الغربي من نورث كيب وكان قد بقي معنا حينئذ ٢٠ لتراً من البنزين وهي كافية في احوال عادية ان توصلنا الى محطة هوبي لو لم تصب الطيارة بعطل

وكنا نعد شيئاً من الطعام واذا نحن بمركب في عرض البحر فذهبنا اليهِ في الحال فوجدنا انهُ المركب النروجي سويلف فاستقبلنا ضباطهُ وبحارتهُ احسن استقبال لان حديث رحلتنا كان قد بدأ يثير المخاوف في نفوس ابناء وطننا

وهبت في الليل عاصفة شديدة عرفنا اننا لا نستطيع الطيران فيها الى خليج الملك فوضعنا الطيارة في مكان امين في الجانب الغربي من خليج لادي فرنكان . ويمنا خليج الملك على ظهر المركب سويلف على ان يعود منا من يرجع بها حين تسكن العاصفة وتقر لجج البحر فبلغناه في الساعة الاولى صباحاً وكانت بعثة نروجية تستعد للضرب في الاصقاع القطبية للبحث عنا فوصلنا قبل قيامها بساعة واحدة وكان قد تجمع جمهور غفير لوداعها فرأوا المركب سويلف يقترب ولكن لم يخطر لهم اننا عليهِ ولما علموا بذلك علا هتاف البشر وازدحمت المناكب لمصافحتنا

وقد عاد أمدال بصندوق من شرائط السنما رسمت عليها مشاهد الاصقاع المتجمدة الشمالية وما قاستهُ البعثة من الاهوال

اول رجل بلغ القطبين

رحلة امندسن الى القطب الشمالي بالبلون

١

اخذ القطب الشمالي يفقد جانباً مما يحيط بهِ من الاسرار فروّاد خمسٍ من الامم يعدّون معداتهم لاقتحام اهوالهِ في هذا الصيف وفي مقدمتهم امندسن الرحالة الاسوجي الشهير الذي عجز في الصيف الماضي عن الوصول اليهِ بالطيّارة فلم تثنهِ الاخطار التي لقيها مع رفقائهِ عن الاستعداد لارتياده ثانية فاتفق مع المستر الزورث الاميركي وكان من رفاقهِ في السنة الماضية ، ومع حكومة ايطاليا فاعطتهُ بلوناً دعي نورج وجعل احد مهندسيها قبطانهُ على ان يرفع هذا البلون العلم النروجي فغادر رومية في ١٠ ابريل طائراً فوق فرنسا الى بلاد الانكليز ومنها لم يطر رأساً الى سبتزبرجن بل طار الى اوسلو عاصمة بلاد نروج ومنها الى لننغراد عاصمة روسيا ثم الى فاردو في شمال بلاد نروج فخليج الملك في سبتزبرجن ومنهُ يمم القطب ليطير فوقهُ الى بوينت بارو في الاسكا. وقد وافتنا البرقيات العمومية قبيل كتابة هذه السطور ان امندسن وصحبهُ اجتازوا القطب الشمالي واتموا رحلتهم الهوائية في بلدة تيلر بالاسكا بعدما بقي البلون ٧٢ ساعة في الهواء وقضى برهة فوق القطب لتدوين الارصاد الجوية المختلفة . وقد صنع هذا البلون في ايطاليا ووضع رسومهُ واشرف على صنعهِ قبطانهُ الملازم نوبيلي الايطالي طولهُ ٣٢٥ قدماً ويسع ٦٧٠ الف قدم مكعبة من الغاز وفيهِ ثلاث آلات قوتها معاً ٧٥٠ حصاناً يسير بها ٤٥ ميلا في الساعة وفي استطاعتهِ ان يطير ٣٦٠٠ ميل من غير ان يحط على الارض

بعثة ولكنز

الكبتن جورج ولكنز رائد استرالي اشترك مع جمعية الطيران بدوترويت والجمعية الجغرافية الاميركية واتحاد الصحف الاميركي في اعداد بعثة هوائية الى القطب الشمالي وخطتهُ فيها ان يطير من فربانكس بالاسكا الى بوينت بارو ومنهُ يطير فوق القطب الى سبتزبرجن بطيارتين من ذوات السطح الواحد صنع فكر Fokker بدأ رحلتهُ هذه في ٢٦ مارس الماضي واخفق حين حاول الطيران فوق القطب لعدم تمرس طياريهِ بهذا

النوع من الطيارات وقد عزم الآن على ان ينقل الوقود والطعام من فربانكس الى نقطة قريبة من القطب ثم يحاول ثانية تحقيق خطته الاولى على ما فيها من المغامرة والمخاطرة

بعثة برد

والكومندور رتشرد برد ضابط متقاعد من ضباط البحرية الاميركية غادر نيويورك على باخرة الى سبتزبرجن في ٦ ابريل الماضي ومعهُ طيارة من ذوات السطح الواحد من صنع فكر ايضاً وخطتهُ ان يطير عليها من خليج الملك في سبتزبرجن الى نقطة في « بيريلاند » تبعد نحو ٤٠٠ ميل عن القطب يجعلها مركزهُ المتقدم ومنها يحاول الطيران الى القطب لارتياد المجاهل التي تحيط بهِ. ويحذو حذو ولكنز في نقل الاطعمة والوقود من خليج الملك الى المكان الذي يختارهُ للطيران منهُ الى القطب . ويعضده في بعثتهِ هذا المستر ادزل فورد ابن هنري فورد الشهير والمستر جون روكفلر وغيرهما من اغنياء الاميركيين

بعثات اخرى

عدا هذه البعثات تستعد وزارة البحرية الفرنسوية لارسال بعثة لارتياد مجاهل القطب الشمالي تجعل عمدتها على المزالق المحركة والطيارات المائية ويستعد القبطان مكملان الاميركي الذي قام برحلة قطبية في الصيف الماضي للعود الى تلك الاصقاع في هذا الصيف . كذلك تعد روسيا معدات بعثتين تقصدان الى الاصقاع المتجمدة شمال سيبريا وقد جاء في انباء نروج ان القبطان ايلياسون النروجي سيذهب الى جزيرة نوفا زميلا ومنها يحال الطيران الى القطب الشمالي على زورق هوائي . وقد ارسل متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك بعثة علمية الى الاصقاع المتجمدة شمالي جزيرة جرينلاندا لتجمع الحقائق العلمية المتعلقة بتلك الاصقاع وستنشىء هذه البعثة محطة لاسلكية في ايتاه قد تساعد الرواد الذين يحاولون الطيران الى القطب او فوقهُ على تذليل بعض المخاطر التي يتعرضون لها . وقد اهتمت جريدة نيويورك تيمس تعضدها في ذلك اتحاد الصحافة الاميركية على انشاء محطة لاسلكية في بوينت بارو بالاسكا للاتصال بالبعثات القطبية

اما النتائج التي ينتظر تحقيقها من هذه البعثات فاهمها ايجاد خط جويّ فوق القطب تسلكهُ الطيارات والبلونات بين اوربا واميركا واسيا فترسل بهِ الرسائل وينتقل بهِ المسافرون الذين يودون الانتقال على جناح السرعة . فاذا تحققت هذه الامنية اصبحت

مدن الشمال في اوربا واميركا واسيا لا تبعد احداها عن الاخرى اكثر من ٢٤ ساعة بطريق الجو

٢

ذكرنا في ما تقدم ان امندسن الرحالة النروجي بلغ في طيرانهِ بالبلون القطب الشمالي . وهو الرحالة الوحيد الذي بلغ قطبي الارض الشمالي والجنوبي وقد بلغ القطب

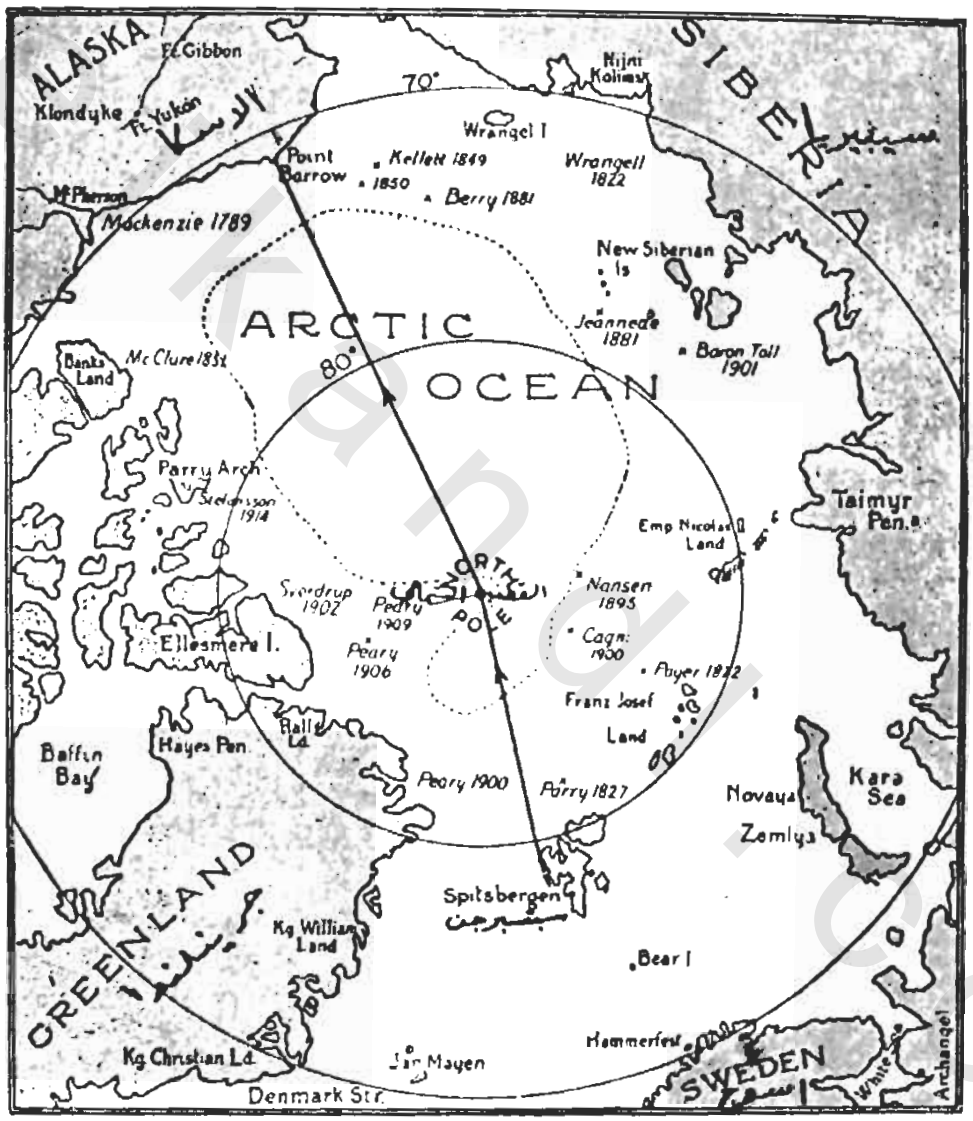

خريطة الاصقاع المتجمدة الشمالية والخط الذي سار فيه امندسن وصحبه بالبلون من سبتسبرجن الى الاسكا مارين فوق القطب الشمالي

الجنوبي في ١٤ دسمبر سنة ١٩١١ فقلنا في مقتطف ابريل سنة ١٩١٢ ما نصهُ

« لقد كان من نصيب اهل نروج الساكنين في اقصى الشمال ان يكون مكتشف القطب الجنوبي منهم فقد ثبت الآن ان الرحالة امندسن النروجي الذي سار بسفينتهِ

الفرام قاصداً الوصول الى القطب الجنوبي وصل اليهِ في ١٤ دسمبر الماضي وقد بعث الى جريدة الديلي كرونكل الانكليزية بوصف اكتشافهِ للقطب الجنوبي فنشرتهُ في ٨ مارس وخلاصتهُ انهُ شرع في سفره نحو القطب في ١٠ فبراير سنة ١٩١١ فوصل الى حيث قضى فصل الشتاء القطبي وكان متوسط درجة الحرارة ٢٦ تحت الصفر بميزان سنتغراد واوطأ ما بلغتهُ ٥٩ درجة تحت الصفر . وابتدأ فصل الربيع في اواسط اكتوبر فعاد الى السير جنوباً فوصل الى الدرجة ٨٣ في ٩ نوفمبر والى الدرجة ٨٥ في ١٤ نوفمبر . وفي ١٧ نوفمبر وصل الى ارض مرتفعة فجعل يصعد فيها هو ورجالهُ حتى بلغوا ما ارتفاعهُ ١٠٧٥٠ قدماً في ٦ دسمبر وكان ذلك حيث العرض ٨٧ درجة و ١٤ دقيقة وفي ٩ دسمبر بلغوا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٣٩ من العرض الجنوبي أي بقي بينهم وبين القطب درجة و٢١ دقيقة . وفي ١٢ دسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٣٠ وفي ١٣ دسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٤٥ وفي ١٤ دسمبر بلغوا القطب نفسهُ وكانت درجة الحرارة حينئذ ٢٣ تحت الصفر . والقطب في سهل مرتفع فسيح جداً . وفي اليوم التالي كانت السماء صافية فرصدوا ارصاداً فلكية كثيرة من الساعة ٦ قبل الظهر الى الساعة ٧ بعده فوجدوا انهم كانوا حيث العرض ٨٩ درجة و٥٥ دقيقة فساروا جنوباً مسافة ٩ كيلومترات حتى يكونوا قد مشوا على القطب حتماً . وقد كانت المسافة من آخر مكان شتوا فيهِ الى القطب ١٤٠٠ كيلو متر وعليهِ فقد كان متوسط ما قطعوه في اليوم ٢٥ كيلو متراً »

لكن شتان بين ما عاناه امندسن حينئذ في الوصول الى القطب وبين ما لقيهُ الآن من السهولة في البلون نورج فقد ثبت الآن ان بلونهُ سار من خليج الملك في سبتسبرجن في ١١ مايو الماضي نحو الساعة العاشرة صباحاً ومر فوق القطب الشمالي في اليوم التالي نحو الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين وكان معهُ المستر السورث الاميركي والكبتن نوبلي الايطالي فانزلوا البلون حتى صار على ٦٠٠ قدم فوق الارض وطرح كل منهم علم بلاده وهو متصل بحربة ثقيلة فغرزت الاعلام الثلاثة في الثلج عند قطب الارض. ووصل البلون بهم الى الاسكا بعد ان قطع المسافة من سبتسبرجن اليها في ٤٥ ساعة ولم تكشف ارض جديدة . والبلون ايطالي وهو اثخن البلونات الشائعة الآن نسبة الى طولهِ

رحلة الكومندر برد

الى القطب الشمالي بالطيارة

من اغرب الامور في تاريخ الارتياد ان ينقضي على الروّاد ما يزيد على اربعمائة سنة منذ كشفت اميركا لا يصل منهم الى القطب الشمالي سوى رائد واحد هو الكومندر پيري الاميركي سنة ١٩٠٩ . ثم تنتشر الانباء البرقية في شهر مايو سنة ١٩٢٦ ان ٢٠ رجلاً تمكنوا من بلوغ القطب الشمالي في اسبوع واحد اثنين منهم بطيارة والباقين في بلون . وسيخلد ذكر هاتين الرحلتين الجويتين الى القطب الشمالي في تاريخ الارتياد لما احاط بهما من الحزم والاقدام وما تعرض اصحابهما لهُ من المخاطر التي تغلبوا عليها بما ريضوا عليهِ من الشجاعة والصبر وما تجهزوا بهِ من معدات العلم ومستنبطاتهِ

وقد تمضي سنوات قبلما تنشأ الخطوط الهوائية تمر فوق القطب تنقل البضائع والمسافرين بالبلونات والطيارات بين البلدان الشمالية، ولكن طيران برد وبنت بالطيارة، وامندسن ونوبلي وصحبهما بالبلون نورج ، اثبت انهُ في الامكان استعمال طريق جوي فوق القطب للمواصلات وان كل بقعة من الكرة تحيط بالقطب لا بد ان ينتابها الروّاد يكشفون مجاهلها

قضى پيري خمساً وعشرين سنة يستعد ويحاول بلوغ القطب الشمالي ولما بلغهُ واراد الرجوع قضى شهوراً عديدة قبلما عاد فى العمران وقبلما تمكن من نشر انبائه في الصحف والكتب . واما الكومندر برد فطار من سبتسبرجن الى القطب الشمالي وعاد الى سبتسبرجن في اقل من ست عشرة ساعة ، وطار امندسن ونوبلي وصحبهما بالبلون نورج من سبتسبرجن فوق القطب الى الاسكا مسافة ٢٧٠٠ ميل في ٤٦ ساعة. وكانت اخبارهم تذاع بالراديو ساعةً ساعة وتنشر في كبريات صحف العالم . وسنصف فيما يلي رحلة الكومندر برد تلخيصاً عن مقالة لهُ في المجلة الجغرافية الوطنية الاميركية مبقين الكلام فيها بضمير المتكلم قال :

***

منذ سبع عشرة سنة قضى الكومندر پيري في رحلتهِ الى القطب الشمالي ذهاباً وايابا نحو ١٣ شهراً اما نحن — اي برد ورفيقهُ فلويد بنت — فتركنا معالم العمران صباح

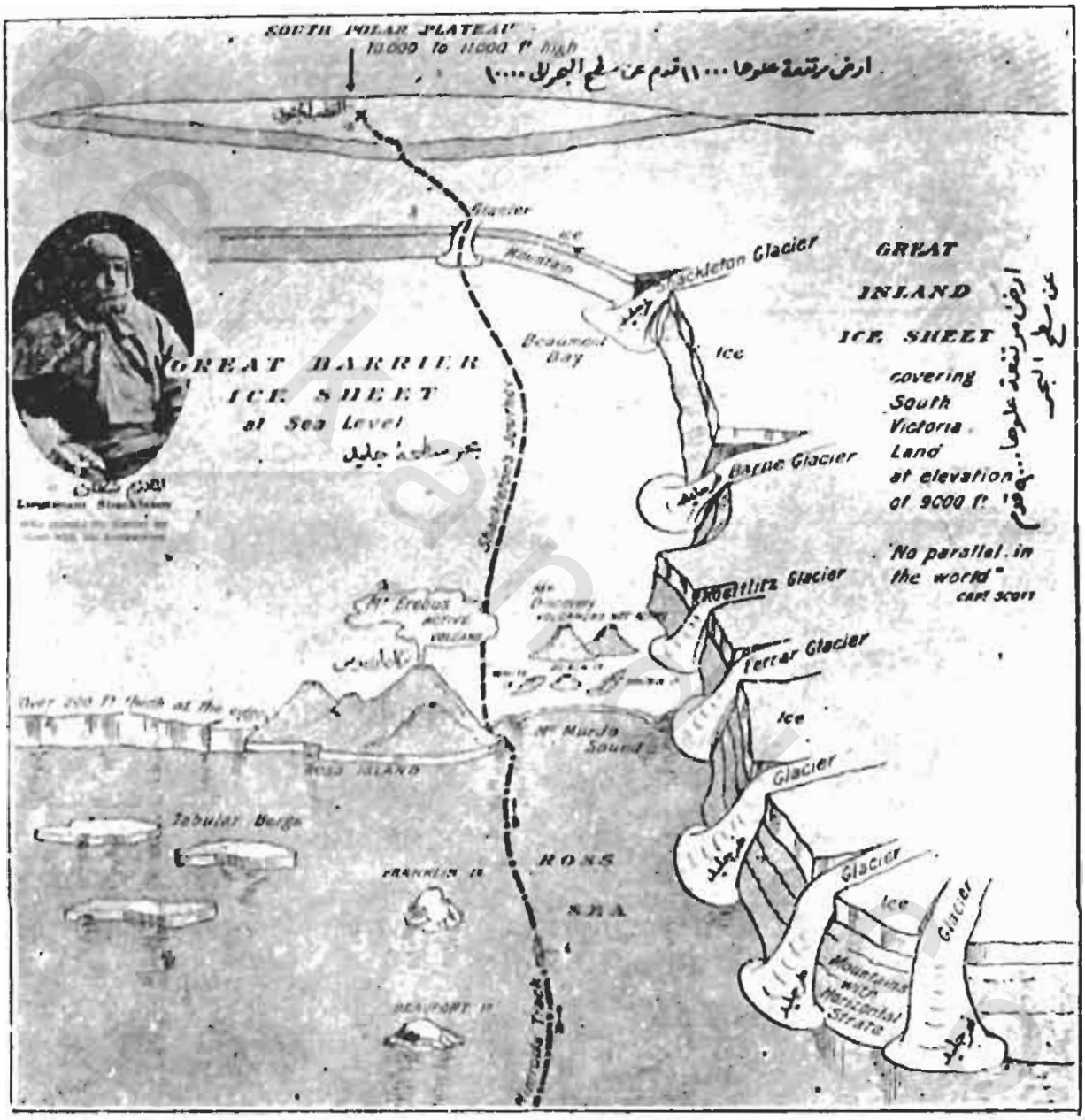

رسم تصوري للاصقاع القطبية الجنوبية

انظر الروّاد صفحة ١٩١

الطيارة جوزفين فورد

برد بملابس الطيران الى الاصقاع القطبية

احد الايام باكراً وطرنا الى القطب فبلغناه وحومنا فوقهُ وعدنا الى مقرنا بعد ظهر ذلك اليوم

لما اعلمني وزير البحرية الاميركية المستر ولبور انهُ مستعد لان يمنحني اجازة لهذه الغاية ذهبت الى المستر ادزل فورد (ابن فورد المشهور) لاطلب معاونتهُ فلما اطلعتهُ على خطتنا وطلبت منهُ في حياء تأييدنا بالمال اجاب طلبنا من غير تردد وانضم اليهِ بعض اصدقائهِ فجمعنا ما يلزمنا من المال على اهون سبيل

اخترنا طيارة من صنع فكر ذات جناح واحد (مونوبلان) طولها ٤٢ قدماً و ٩ بوصات والمسافة بين طرفي جناحيها ٦٣ قدماً و٣ بوصات تحمل ٤ خزانات للبنزين اثنين يسعان ٢٠٠ جالوناً والاثنين الآخرين يسعان ٢٢٠ جالوناً وفيها ثلاث محركات اثنان منها كافيان للنهوض بالطيارة والطيران بها فاذا اختل احدها كان المحركان الباقيان كافيين لتسييرها ودعيناها « جوزفين فورد » وهو اسم ابنة المستر ادزل

امتحنا الطيارة قبيل سفرنا من اميركا فوجدناها وافية بالمرام لاتحرق سوى ٢٨ جالوناً من البنزين في الساعة وهو أقل مما كنا ننتظر وتسرع في الطيران حتى تبلغ سرعتها ١١٧ ميلا في الساعة

سافرنا ومعنا هذه الطيارة على الباخرة « شانتيه » الى سبتسبرجن فبلغنا خليج الملك الساعة الرابعة من صباح ٢٩ ابريل فوجدنا امندسن ونوبلي وصحبهما يعدون معدات البلون نورج للطيران فوق القطب

كان المرفأ مغطى بقطع الجليد مما جعل الدنو من الرصيف متعذراً فرسونا على ٩٠٠ قدم من الشاطىء واخذنا نعد طوفاً من الواح الخشب تنقل عليهِ الطيارة الى البر. وفيما كنا نفعل ذلك اخذ الثلج يتساقط والهواء يبرد ولكن ذلك لم يبرد همتنا وربط احد رباني السفينة الطيارة ربطاً محكماً ورفعت عن ظهر السفينة وانزلت الى الطوف فسار بها البحارة الى البر سالمة. لكننا في عملنا هذا جازفنا مجازفة كبيرة لانهُ لو اتفق هبوب ريح شديدة حينئذ لمزقت قطع الجليد الطوف الضعيف ولتحطمت الطيارة التي بها مناط آمالنا

نزلنا الى البر وشرعنا نعد الطيارة للطيران فوضعنا فيها كل لوازمها ولوازمنا ولما حاولنا ان نطير بها لامتحانها انكسرت احدى المزالق التي تجري عليها فوق الجليد

وكادت تنقلب الطيارة شر منقلب وانحنت احدى آلاتها على ان اليأس لم يخامر قلوب رجالنا فاخذ بعضهم يصلح ما يجب اصلاحهُ فيها وآخرون يعدون مزالق جديدة دهنوها بالقطران حتى يسهل زلقها على الجليد والباقون مهدوا لنا طريقاً منحدراً فوق الجليد طوله نحو ميل لتجري عليهِ الطيارة قبل طيرانها . فلما اطرناها ثانية مدة ساعتين لامتحانها ثبت لنا ان كل شيء فيها على ما يرام

واتممنا كل المعدات يوم ٨ مايو ولما اخبرنا المستر هاينز المتيورولوجي ان الطقس صالح ادرنا المحركات واخذنا ما نحتاج اليهِ من البنزين والطعام وفحصنا كل الآلات التي معنا وصعدت مع صديقي بنت الى الطيارة ولكنها لم تطر بنا . وذلك لان ثقل ماحملتهُ كان فوق طاقتها فلم تنهض عن الارض بل جرت بنا فوق الطريق المنحدر الممهد وفي آخره اصطدمت بقطع من الجليد وكادت تنقلب وتتحطم . فخرجت من الطيارة جزعاً وفحصت المزالق وآلة النزول فوجدتهما سليمين فسرّي عني بعض الشيء فخففنا حملها بضع مئات من الارطال وجررناها الى اعلى المنحدر واشتغلنا كل الليل لتمهيده ثانية

كان الجو لا يزال صافياً فعزمنا ان نبدأ رحلتنا من جديد حوالي منتصف الليل ولما مضى على انتصاف الليل نصف ساعة كنا قد اعددنا كل امر للرحيل وكان قد انقضى عليَّ وعلى رفيقي بنت ٣٦ ساعة من غير ان نذوق طعم الكرى فتوسل الينا الدكتور اوبرين ان ننام قليلاً قبيل السفر فلم نفعل لاننا رأينا الفرصة سانحة والشمس الى الشمال تدعونا

سرنا للمرة الرابعة فوق المنحدر الجليدي وقبل ان نبلغ آخره ارتفعت بنا الطيارة

كان معنا آلة راديو صغيرة مبنية على محرك يدار باليد نستطيع استعمالها اذا اضطررنا ومزلقة لنقل طعامنا ، وطعام يكفينا نحو عشرة اسابيع وملابس وبندقية ومسدس وخيمة وفاس وسكين وكل ما نحتاج اليهِ في تلك الاقطار النائية

ونظرنا الى تحت فرأينا رفاقنا يلوحون لنا بايديهم وبرانيطهم كأنهم يتمنون لنا النجاح في مهمتنا . ما زلت حياً لاانسى فضل اولئك الرفاق ! انهم انكروا نفوسهم وبذلوا جهدهم ليمهدوا لنا سبيل الطيران الى القطب

مصاعب الطيران فوق البحر القطبي

لست تجد فوق قطع الجليد الطافية في البحار القطبية اعلاماً او معالم تهتدي بها في اثناء الطيران . فالطيارة من هذا القبيل اشبه شيء بباخرة في عرض الاوقيانوس ليس لها ما تهتدي به سوى القمر والنجوم فيقيس ربانها بالسدس (سكستنت) علو احد النجوم فوق الافق ويستخرج من ذلك موقعهُ الحقيقي بعملية رياضية طويلة . على ان افق البحر القطبي لايعتمد عليهِ لان قطع الجليد وجبالهُ تحجب الافق الحقيقي . كذلك لايستطيع الطيار ان يضيع وقتاً في عملية رياضية طويلة لانهُ اذا كان سائراً خطأ انحرف عن محجتهِ عشرات الاميال قبل الانتهاء من عملية رياضية بدأها لمعرفة مكانهِ . لذلك يجب عليهِ ان يجد طريقة اخرى يعرف بها مكانهُ معرفة سريعة حتى يجني فائدة هذه المعرفة

وكانت غايتنا ان نتجه اتجاهاً شمالياً من غير انحراف لكي نصل الى القطب اولاً ولكي تتمكن من الرجوع الى سبتسبرجن ثانية لانهُ اذا لم نتمكن من معرفة اتجاهنا تعذر علينا ان نعود . وكانت البوصلة (الحك) لاتجدينا نفعاً لان ابرتها تتجه الى القطب المغنطيسي الشمالي وهو يبعد نحو الف ميل عن القطب الجغرافي الشمالي جنوباً ولو ان ابرة البوصلة تتجه تماماً الى القطب المغنطيسي لكان يسهل علينا ان نستخرج من ذلك موقعنا فوق البحر القطبي ولكن الابرة تتأثر بما حولها فقد توجد قربها قطعة كبيرة من الحديد تحرفها عن اتجاهها الحقيقي ولذلك لم نستطع الاعتماد على البوصلة كذلك لم نستطع الاعتماد على الدوامة « الجيروسكوب » لانهُ كلما اقتربنا من القطب الشمالي اتجه محورها اتجاهاً عمودياً

فلم يبق لدينا سوى الاعتماد على الشمس لتكون دليلنا ولذلك اخذنا معنا بوصلة شمسية استنبطها المستر بمستد رئيس الرسامين الفنيين بالجمعية الجغرافية الوطنية ولولاها لما استطعنا ان نصل الى القطب ولا ان نعود الى سبتسبرجن

وهذه البوصلة الشمسية كالمزولة الا انها تعكس فعلها . ففي المزولة يلزم معرفة الجهة الشمالية فموقع ظل الشمس يدل على الوقت . اما في البوصلة الشمسية فاذا عرفنا الوقت عرفنا الجهة من اتجاه ظل الشمس

اضف الى ذلك ان الطيارة وهي طائرة تكون جزءا من الهواء الذي تسبح فيهِ كسفينة

تسير في تيار. فاذا هبت ريح سرعتها ٣٠ ميلا في الساعة حرفت الطيارة عن مسيرها المستقيم ثلاثين ميلا الى اليمين او الى الشمال حسب اتجاه الريح . ولمعرفة هذا الانحراف كان لدينا آلة تدل عليه . وكان لابد لنا في كل ذلك من معرفة وقت غرينتش معرفة دقيقة لذلك كان معي كرونومتران حفظتهما في غرفتي اسابيع وعرفت مبلغ الخطأ الذي يصيبهما من تقلص اجزائهما اذا تعرضا للبرد الشديد . ودوّنت ذلك لادخاله في حسابي

كان بنت يسوق الطيارة وانا اعطيه تعليمات الاتجاه التي استخرجها من رصد الآلات التي معنا فاذا انحرفت الطيارة من وقت الى آخر كان ينظر الى الوراء فاخبره في اي اتجاه يجب ان يسير وكنا نفعل ذلك كل دقيقتين لنتحقق صحة المسير

وكنت انا احقق مرةً كل ثلاث دقائق قوة اتجاه الهواء لاكون على بينة من هبوب ريح متى هبت

ولما ثبت لي اننا سائرون في اتجاه شمالي مستقيم حولت نظري الى مفازة الجليد التي تحتنا وكنا حينئذ على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم واستطيع ان ارى الى بعد خمسين ميلاً من اليمين وخمسين ميلاً من اليسار فلم ار اثراً ما لليابسة ولو كان هناك اثر لليابسة في منطقة قطرها ١٠٠ ميل لكنا رأينا قمم جبالها لان الهواء كان صافياً

وكانت الحرارة حينئذ ٨ درجات فوق الصفر بميزان فارنهيت اي ٢٤ درجة تحت درجة الجليد اي نحو ١١ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد . وكان في مفازة الجليد شقوق كثيرة في اتجاهات مختلفة وكان الهواء ساكناً ليس فيه تيارات متعارضة لتسطح الجليد وانتظام الحرارة وهذا كلهُ سهل علينا الطيران

نظرت الى بنت فرأيت ان احل محله قليلاً في تسيير الطيارة لكي يستريح قليلاً ولكي يملأ الخزان بالبنزين الذي كنا نحمله في صفائح صغيرة

ولم يكن تسيير الطيارة صعباً للاسباب المتقدم ذكرها فكنت ادير الدولاب بيد واحمل بيد اخرى البوصلة الشمسية لا تثبت من اننا نسير في خط مستقيم متجهين الى الشمال

ولما تمّ بنت املاء الخزان بالبنزين عاد الى مكانه وعدت الى رصد الآلات وكاد يصيبني البهر من كثرة تحديقي الى الجليد لكننا كنا قد اخذنا معنا نظارات من لون الكهرباء تمنع ذلك

واخذت محل بنت مرتين في الساعتين التاليتين . ولما دلت حساباتنا على اننا صرنا على ساعة من القطب لحظت ان هناك ثقباً في خزان الزيت الذي يزيت احد المحركين ورأيت الزيت يكف منهُ . وكان بنت قد لحظ ذلك ايضاً فكتب على وريقة « سيقف المحرك »

واقترح بنت ان نحاول الهبوط الى الارض لاصلاح الخلل . اما انا فكنت قد عرفت ان بعثات كثيرة كبعثتنا فشلت لنزولها فوق الجليد فقررنا ان نستمر في سيرنا الى القطب ولو اضطررنا ان نعتمد على المحركين الباقيين فقط . لان الخطر في نزولنا قرب القطب اذا اضطررنا الى ذلك لا يكون اعظم من نزولنا حيث نحن . ولو تبعنا الخطة التي سار عليها الرواد قبلنا لكنا فشلنا في مهمتنا

ولما اخذت مكان بنت بعيد ذلك كنت انظر الى ذلك الثقب والى عداد الزيت وجلاً لانهُ اذا خف الضغط في العداد وجب توقيف المحرك . على ان قبلتنا كانت قد صارت على قاب قوسين او ادنى منا ولم نشأ ان نلوي راجعين

القطب

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الثانية (وقت غرينتش) دلت حساباتنا على اننا فوق القطب فتحققت بذلك امنية كانت تساورني منذ طفولتي

صورنا بضع صور ثابتة ومتحركة وسرنا بضعة اميال في الجهة التي اتينا منها ثم درنا حول القطب في دائرة متسعة . هنا يضيع كل حساب في الوقت والاتجاه لان كل مكان وانت فوق القطب هو الى الجنوب

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة اتجهنا الى سبتسبرجن بعد ما عدلنا عن المرور فوق كايب مورس بسبب الثقب في خزان الزيت ولكن دهشنا بعدئذ من استمرار المحرك في عملهِ وتوقف الزيت عن الوكف من الخزان . والسبب ان الزيت كان يكف من ثقب مسمار غير ثابت في مكانهِ فلما انخفض مستوى الزيت عن ذلك الثقب وقف الوكف وبقي المحرك سائراً على ما يرام

ران الكرى علينا من شدة الفرح في اتمام مهمتنا ومن تأثير هدير المحركين ومن التعب الذي نالنا من قلة النوم فغفوت لما كنت اسير الطيارة مرة ، وحللت محل بنت مراراً لتعاسهِ وتعبهِ

وكانت غايتنا القنة المسماة بوينت غراي في سبتسبرجن فلما رأيناها امامنا عرفنا اننا قد سرنا سيراً مستقيماً من القطب الى سبتسبرجن . ووصلنا الى خليج الملك ونحن على علو ٤٠٠٠ قدم ولم تكن الا بضع دقائق حتى جعلنا نصافح رفاقنا — بعد طيران نحو ١٦ ساعة متواصلة بلغنا فيها القطب الشمالي وعدنا منهُ سالمين . اه

هذا وقد منح برد مدالية هبرد الذهبية ومنح رفيقهُ بنت مدالية ذهبية في حفلة زاهرة اقامتها الجمعية الجغرافية الوطنية الاميركية حضرها الرئيس كولدج وخطب فيها وذلك بعد ما حققت لجنة من العلماء ما دونهُ برد على خريطتهِ من الاقيسة والملاحظات مما اثبت انهُ اول من وصل الى القطب الشمالي عن طريق الجو

مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٦